مغامرات الجد ضفدع

ثورنتون دبليو برجس



مُغَامَرَاتُ الْجَدِّ ضفدع

تأليف
ثورنتون دبليو برجس

ترجمة
أسماء صلاح

مراجعة
لبنى عماد تركي

هنـــداوي

مُغَامَرَاتُ الْجَدِّ ضفدع

ثورنتون دبليو برجس

The Adventures of Grandfather Frog

Thornton W. Burgess

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

الترقيم الدولي: ٩ ١٣٦٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

المحتويات

الفصل الأول

المِنْكُ بيلي يَبْحَثُ عَنْ ثَعْلَبِ المْاءِ الصَّغِيرِ جو

جَرَى الْمِنْكُ بيلي حَوْلَ حَافَةِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ ثُمَّ انْعَطَفَ إِلَى أَسْفَلَ عِنْدَ الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ. كَانَتْ عَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ بِبَرِيقٍ مُشَاغِبٍ، وَهُوَ يَجْرِي بِسُرْعَتِهِ الْفَرِيدَةِ. وَعِنْدَمَا مَرَّ بِمَنْزِلِ فَأْرِ الْمِسْكِ جيري، رَآهُ جيري.

نَادَاهُ جيري قَائِلًا: «مَرْحَبًا أَيُّهَا الْمِنْكُ بيلي! أَيْنَ تَذْهَبُ مُسْرِعًا هَكَذَا فِي هَذَا الصَّبَاحِ الْجَمِيلِ؟»

رَدَّ بيلي: «أَذْهَبُ لِلْبَحْثِ عَنْ ثَعْلَبِ الْمَاءِ الصَّغِيرِ جو.» ثُمَّ سَأَلَ: «هَلْ رَأَيْتَهُ؟»

قَالَ جيري: «لَا، أَظُنُّهُ نَزَلَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ لِصَيْدِ السَّمَكِ. لَقَدْ سَمِعْتُهُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ يَقُولُ إِنَّهُ سَيَذْهَبُ لِلصَّيْدِ هُنَاكَ.»

فَقَالَ لَهُ بيلي: «شُكْرًا.» وَدُونَ أَنْ يَنْتَظِرَ لِيَقُولَ الْمَزِيدَ، انْطَلَقَ مُبْتَعِدًا كَشُعَاعٍ بُنِّيٍّ صَغِيرٍ.

وَقَفَ جيري يُرَاقِبُهُ حَتَّى غَابَ عَنْ نَاظِرَيْهِ، ثُمَّ قَالَ مُتَعَجِّبًا: ««هممم!» إِنَّ الْمِنْكَ بيلي فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ هَذَا الصَّبَاحَ. تُرَى مَا سَبَبُ لَهْفَتِهِ الشَّدِيدَةِ لِلْعُثُورِ عَلَى ثَعْلَبِ الْمَاءِ الصَّغِيرِ جو؟ إِنَّهُمَا عِنْدَمَا يُفَكِّرَانِ مَعًا؛ عَادَةً مَا يَكُونُ ذَلِكَ لِإِثَارَةِ الشَّغْبِ.»

صَعِدَ جيري إِلَى قِمَّةِ مَنْزِلِهِ وَنَظَرَ إِلَى مَا وَرَاءَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ فِي الِاتِّجَاهِ الَّذِي أَتَى مِنْهُ الْمِنْكُ بيلي لِلتَّوِّ. وَفِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا تَقْرِيبًا، رَأَى الْجَدَّ ضفدع مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ عَلَى وَرَقَةِ زَنْبَقٍ خَضْرَاءَ كَبِيرَةٍ، وَقَدْ بَرَزَتْ أَرْجُلُ ذُبَابَةٍ خَضْرَاءَ حَمْقَاءَ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْ فَمِهِ الْكَبِيرِ. لَمْ يَتَمَالَكْ جيري نَفْسَهُ مِنَ الضَّحِكِ؛ فَالْجَدُّ ضفدع كَانَ يَبْدُو مُضْحِكًا بِلَا شَكٍّ.

وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَقَدْ تَنَاوَلَ إِفْطَارًا دَسِمًا هَذَا الصَّبَاحَ، وَقَدْ أَشْعَرَتْهُ مَعِدَتُهُ الْمُمْتَلِئَةُ بِالنُّعَاسِ، وَلَكِنَّهُ أَصْبَحَ مُهْمِلًا فِي شَيْخُوخَتِهِ ... أَجَلْ، أَصْبَحَ مُهْمِلًا بِلَا شَكٍّ. كَيْفَ لَهُ أَنْ يَنَامَ فِي الْعَرَاءِ هَكَذَا عَلَى مَرْأًى مِنَ الْجَمِيعِ!»

وَفَجْأَةً خَطَرَتْ عَلَى بَالِهِ فِكْرَةٌ جَدِيدَةٌ، فَقَالَ مُتَعَجِّبًا: «لَقَدْ رَآهُ الْمِنْكُ بيلي، وَهَذَا هُوَ سَبَبُ لَهْفَتِهِ الشَّدِيدَةِ لِلْعُثُورِ عَلَى ثَعْلَبِ الْمَاءِ الصَّغِيرِ جو. مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ يُدَبِّرُ حِيلَةً لِلْجَدِّ ضفدع!» ثُمَّ بَدَأَتْ عَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ وَقَالَ مُضِيفًا: «أَظُنُّنِي سَأَحْظَى بِبَعْضِ الْمَرَحِ أَنَا الْآخَرُ.»

وَدُونَ كَلِمَةٍ أُخْرَى انْزَلَقَ جيري فِي الْمَاءِ وَسَبَحَ نَاحِيَةَ وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي يَنَامُ عَلَيْهَا الْجَدُّ ضفدع، ثُمَّ ضَرَبَ الْمَاءَ بِذَيْلِهِ ضَرْبَةً قَوِيَّةً سَرِيعَةً. فَتَحَ الْجَدُّ ضفدع عَيْنَيْهِ الْجَاحِظَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ بِسُرْعَةٍ، وَكَانَ عَلَى وَشْكِ أَنْ يَغْطِسَ بِذُعْرٍ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ عِنْدَمَا رَأَى جيري.

سَأَلَهُ جيري بِابْتِسَامَةٍ عَرِيضَةٍ: «هَلْ نِمْتَ جَيِّدًا؟»

«لَمْ أَكُنْ نَائِمًا!» قَالَهَا الْجَدُّ ضفدع مُحْتَجًّا فِي غَضَبٍ، وَأَرْدَفَ: «كُنْتُ أُفَكِّرُ فَحَسْبُ.»

فَسَأَلَهُ جيري: «أَلَا تَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ الْخَطِيرِ أَنْ تُطِيلَ التَّفْكِيرَ وَأَنْتَ مُغْمِضُ الْعَيْنَيْنِ هَكَذَا؟»

أَقَرَّ الْجَدُّ ضفدع فِي خَجَلٍ: «حَسَنًا، رُبَّمَا غَفَوْتُ قَلِيلًا فَحَسْبُ.»

رَدَّ جيري: «رُبَّمَا فَعَلْتَ.» ثُمَّ أَرْدَفَ: «وَالْآنَ، اسْتَمِعْ إِلَيَّ.» ثُمَّ هَمَسَ جيري فِي أُذُنِ الْجَدِّ ضفدع، وَضَحِكَ الِاثْنَانِ بِصَوْتٍ مَكْتُومٍ كَأَنَّهُمَا يَسْتَمْتِعَانِ بِمَزْحَةٍ مَا؛ فَهُمَا صَدِيقَانِ عَزِيزَانِ كَمَا تَعْلَمُونَ. بَعْدَئِذٍ سَبَحَ جيري عَائِدًا لِمَنْزِلِهِ، وَأَغْمَضَ الْجَدُّ ضفدع عَيْنَيْهِ لِيَبْدُوَ تَمَامًا كَمَا كَانَ عِنْدَمَا كَانَ نَائِمًا.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ كَانَ الْمِنْكُ بيلي قَدْ أَسْرَعَ نَازِلًا الْجَدْوَلَ الضَّاحِكَ، وَعِنْدَ مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، قَابَلَ ثَعْلَبَ الْمَاءِ الصَّغِيرَ جو وَهُوَ يَحْمِلُ سَمَكَةً كَبِيرَةً إِلَى الْمَنْزِلِ؛ فَكَمَا تَعْلَمُونَ، جو صَيَّادٌ مَاهِرٌ. أَسْرَعَ الْمِنْكُ بيلي يُخْبِرُهُ بِاسْتِغْرَاقِ الْجَدِّ ضفدع فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ.

وَخَتَمَ حَدِيثَهُ قَائِلًا: «إِنَّهَا فُرْصَةٌ رَائِعَةٌ لِنَلْهُوَ مَعَ الْجَدِّ ضفدع وَنُفْزِعَهُ.»

أَنْزَلَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو سَمَكَتَهُ وَابْتَسَمَ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً؛ فَقَدْ كَانَ حُبُّهُ لِلْحِيَلِ مُقَارِبًا لِحُبِّهِ لِصَيْدِ السَّمَكِ.

وَسَأَلَ: «مَاذَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَفْعَلَ؟»

رَدَّ بيلي قَائِلًا: «لَقَدْ فَكَّرْتُ فِي خُطَّةٍ. هَلْ تَعْرِفُ أَيْنَ يُمْكِنُ أَنْ نَجِدَ مالك الحزين الْأَزْرَقَ؟»

أَجَابَهُ جو قَائِلًا: «نَعَمْ، رَأَيْتُهُ يَصْطَادُ مُنْذُ أَقَلَّ مِنْ خَمْسِ دَقَائِقَ.»

ثُمَّ أَخْبَرَ بيلي جو بِخُطَّتِهِ، وَانْطَلَقَ الْمُشَاغِبَانِ الصَّغِيرَانِ مُسْرِعَيْنِ لِلْبَحْثِ عَنْ مالك الحزين الْأَزْرَقِ، وَهُمَا يَتَضَاحَكَانِ وَيُقَهْقِهَانِ.

الفصل الثاني

مالك الحزين الْأَزْرَقُ يَسْتَقْبِلُ زُوَّارًا

كَانَ مالك الحزين الْأَزْرَقُ مُنْزَعِجًا بِلَا شَكٍّ. كَانَ صَبَاحًا جَمِيلًا، أَجْمَلَ مِنْ أَنْ يَشْعُرَ أَيُّ كَائِنٍ بِمِثْلِ هَذَا الشُّعُورِ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ ذَلِكَ نَفْسَ الصَّبَاحِ الْجَمِيلِ الَّذِي اصْطَادَ فِيهِ الْجَدُّ ضفدع الْكَثِيرَ مِنَ الذُّبَابِ الْأَخْضَرِ الْأَحْمَقِ.

كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ مُبْتَسِمًا مِلْءَ فِيهِ، وَكَانَتِ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ، بَنَاتُ الرِّيَاحِ الْغَرْبِيَّةِ الْعَجُوزِ تَرْقُصُ فِي سَعَادَةٍ هُنَا وَهُنَاكَ فَوْقَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، بَاحِثَةً عَنْ مَعْرُوفٍ تُسْدِيهِ لِلْآخَرِينَ. وَكَانَ ذَوُو الرِّيشِ الصِّغَارُ، الَّذِينَ وَهَبَتْهُمُ الطَّبِيعَةُ الْأُمُّ الْعَجُوزُ نِعْمَةً عَظِيمَةً هِيَ حَنَاجِرُهُمُ الْمُوسِيقِيَّةُ، يَشْدُونَ بِأَعْذَبِ الْأَغَانِي؛ لِذَلِكَ بَدَا أَنَّهُ لَا يُوجَدُ سَبَبٌ وَجِيهٌ يُبَرِّرُ شُعُورَ مالك الحزين بِالِانْزِعَاجِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ مُشْكِلَةَ مالك الحزين كَانَتْ أَنَّهُ جَائِعٌ. نَعَمْ، هَذَا مَا أَزْعَجَ مالك الحزين الْأَزْرَقَ فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، مِنَ الصَّعْبِ أَنْ يَكُونَ الْكَائِنُ جَائِعًا وَسَعِيدًا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ.

وَهَكَذَا وَقَفَ مالك الحزين عَلَى حَافَةِ بِرْكَةٍ صَغِيرَةٍ ضَحْلَةٍ فِي الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ، يُتَمْتِمُ لِنَفْسِهِ مُتَذَمِّرًا. فَمُنْذُ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ، كَانَ قَدْ رَأَى ثَعْلَبَ الْمَاءِ الصَّغِيرَ جو حَامِلًا سَمَكَةً كَبِيرَةً إِلَى الْمَنْزِلِ، وَقَدْ زَادَهُ ذَلِكَ جُوعًا وَانْزِعَاجًا عَنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى؛ فَهُوَ أَوَّلًا صَارَ يَشْعُرُ بِالْحَسَدِ، وَالْحَسَدُ — كَمَا تَعْلَمُونَ — دَائِمًا مَا يُثِيرُ فِي النَّفْسِ مَشَاعِرَ سَلْبِيَّةً. كَانَ يَعْرِفُ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ أَنَّ جو اصْطَادَ تِلْكَ السَّمَكَةَ بِمُطَارَدَتِهَا بِجَسَارَةٍ حَتَّى أَمْسَكَ بِهَا؛ فَجو يَسْتَطِيعُ السِّبَاحَةَ أَسْرَعَ حَتَّى مِنَ السَّمَكَةِ. وَلَكِنَّ مالك الحزين فَضَّلَ أَنْ يُحَاوِلَ إِقْنَاعَ نَفْسِهِ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ كُلَّهَا مَسْأَلَةُ حَظٍّ. فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، كَانَ يُرِيدُ إِلْقَاءَ اللَّوْمِ عَلَى

غَيْرِهِ لِعَدَمِ نَجَاحِهِ هُوَ، كَمَا يَفْعَلُ مُعْظَمُ مَنْ تَبُوءُ جُهُودُهُمْ بِالْفَشَلِ. لِذَلِكَ عِنْدَمَا صَاحَ جو: «مَرْحَبًا يَا مالك الحزين، هَلْ حَالَفَكَ الْحَظُّ فِي هَذَا الصَّبَاحِ الْجَمِيلِ؟» تَظَاهَرَ مالك الحزين بِأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا تَوَارَى جو عَنِ الْأَنْظَارِ وَالْمَسَامِعِ، بَدَأَ يُتَمْتِمُ لِنَفْسِهِ مُتَذَمِّرًا.

«لَا عَجَبَ أَنَّ الْحَظَّ لَمْ يَكُنْ حَلِيفِي، وَثَعْلَبُ الْمَاءِ ذَاكَ يَسْبَحُ مِنْ أَعْلَى الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ لِأَسْفَلِهِ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ. إِنَّهُ لَا يَكْتَفِي بِصَيْدِ مَا يُرِيدُهُ لِنَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ يُخِيفُ بَقِيَّةَ السَّمَكِ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لِصَيَّادٍ شَرِيفٍ مِثْلِي أَيُّ فُرْصَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ. أَنَا لَا أَفْهَمُ فِيمَ كَانَتِ الطَّبِيعَةُ الْأُمُّ الْعَجُوزُ تُفَكِّرُ حِينَ جَعَلَتْهُ مُحِبًّا لِلسَّمَكِ؛ فَهُوَ وَالْمِنْكُ بيلي لَيْسَا إِلَّا شَقِيَّيْنِ صَغِيرَيْنِ عَدِيمَيِ الْجَدْوَى، وُلِدَا لِيُوقِعَا الْآخَرِينَ فِي الْمَتَاعِبِ.»

أَطَلَّ هَذَانِ الشَّقِيَّانِ بِرَأْسَيْهِمَا مِنْ بَيْنِ الْعُشْبِ عَلَى النَّاحِيَةِ الْمُقَابِلَةِ مِنَ الْبِرْكَةِ الصَّغِيرَةِ، وَقَالَ جو وَهُوَ يَلْكُزُ الْمِنْكَ بيلي: «تَبْدُو سَعِيدًا يَا مالك الحزين. لَا بُدَّ أَنَّكَ حَظِيتَ بِإِفْطَارٍ دَسِمٍ.»

طَقْطَقَ مالك الحزين بِمِنْقَارِهِ الْكَبِيرِ فِي غَضَبٍ، وَسَأَلَ: «مَا الَّذِي تَفْعَلَانِهِ هُنَا، أَتُفْسِدَانِ صَيْدِي؟ أَلَا يَكْفِيكُمَا النَّهْرُ الْكَبِيرُ وَسَائِرُ الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ لِتَلْهُوَا فِيهِمَا؟ هَذِهِ بِرْكَتِي، وَسَأَكُونُ مُمْتَنًّا لَكُمَا إِنِ ابْتَعَدْتُمَا عَنْ هُنَا!»

ضَحِكَ الْمِنْكُ بيلي ضِحْكَةً خَافِتَةً بِحَيْثُ سَمِعَهُ مالك الحزين؛ وَهُوَ مَا لَمْ يُحَسِّنْ مِزَاجَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ قَوْلِ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ، تَكَلَّمَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو.

«أُوهْ، نَسْتَمِيحُكَ عُذْرًا. كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّنَا عَرَفْنَا لِلتَّوِّ أَنَّ الْجَدَّ ضفدع مُسْتَغْرِقٌ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ، وَفَكَّرْنَا فِي أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُحَالِفْكَ الْحَظُّ هَذَا الصَّبَاحَ، فَلَرُبَّمَا يَسُرُّكَ أَنْ تَعْلَمَ بِذَلِكَ. وَلَكِنْ مَا دُمْتَ تَظُنُّ بِنَا سُوءًا، فَسَوْفَ نَذْهَبُ وَنُخْبِرُ بَلَشُونَ اللَّيْلِ ذَا التَّاجِ الْأَسْوَدِ.»

وَاسْتَدَارَ جو كَأَنَّهُ سَيَنْطَلِقُ لِلْبَحْثِ عَنْ ذِي التَّاجِ الْأَسْوَدِ عَلَى الْفَوْرِ. «انْتَظِرْ دَقِيقَةً!» هَكَذَا صَاحَ مالك الحزين، مُحَاوِلًا أَنْ يَجْعَلَ صَوْتَهُ يَبْدُو لَطِيفًا، وَهُوَ أَمْرٌ صَعْبٌ؛ لِأَنَّ صَوْتَهُ — كَمَا تَعْلَمُونَ — خَشِنٌ جِدًّا وَغَيْرُ مُحَبَّبٍ. وَأَرْدَفَ: «الْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّنِي لَمْ أَتَنَاوَلْ أَيَّ لُقْمَةٍ لِلْإِفْطَارِ، وَالْجُوعُ يَجْعَلُنِي سَرِيعَ الْغَضَبِ. قُلْتَ أَيْنَ كَانَ الْجَدُّ ضفدع؟»

رَدَّ جو قَائِلًا: «لَمْ أَقُلْ، وَلَكِنْ إِذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ حَقًّا، فَهُوَ يَجْلِسُ عَلَى زَنْبَقَتِهِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ عَلَى مَرْأًى مِنَ الْجَمِيعِ.»

قَالَ مالك الحزين: «شُكْرًا لَكُمَا. أَعْتَقِدُ أَنَّ لَدَيَّ مُهِمَّةً فِي هَذَا الِاتِّجَاهِ. لَقَدْ تَذَكَّرْتُ ذَلِكَ الْآنَ. أَعْتَقِدُ أَنِّي سَأَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَأُلْقِي نَظْرَةً عَلَيْهِ، فَأَنَا لَمْ أَرَهُ نَائِمًا قَطُّ.»

الفصل الثالث

مالك الحزين يَزُورُ الْبِرْكَةَ الْبَاسِمَةَ

رَاقَبَ مالك الحزين الْأَزْرَقُ الْمِنْكَ بيلي وَثَعْلَبَ الْمَاءِ الصَّغِيرَ جو وَهُمَا يَنْزِلَانِ عَلَى طُولِ الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ حَتَّى تَوَارَيَا عَنِ الْأَنْظَارِ. وَطَوَالَ فَتْرَةِ وُجُودِهِمَا فِي مَرْمَى بَصَرِه، ظَلَّ جَالِسًا بِلَا حَرَاكٍ، وَقَدْ خَفَضَ رَأْسَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ كَأَنْ لَيْسَ لَدَيْهِ شَيْءٌ أَكْثَرُ أَهَمِّيَّةً يُفَكِّرُ فِيهِ مِنْ قَيْلُولَةِ الصَّبَاحِ. وَلَكِنَّكَ إِذَا كُنْتَ قَرِيبًا بِمَا يَكْفِي لِرُؤْيَةِ عَيْنَيْهِ الثَّاقِبَتَيْنِ، كُنْتَ سَتَتَيَقَّنُ مِنْ أَنَّ فِكْرَةَ الْقَيْلُولَةِ لَمْ تَرِدْ عَلَى بَالِهِ أَصْلًا. وَفَوْرَ تَأَكُّدِهِ مِنَ ابْتِعَادِ الشَّقِيَّيْنِ الصَّغِيرَيْنِ بِفَرْوَيْهِمَا الْبُنِّيَّيْنِ عَنْ مَرْمَى الْبَصَرِ، مَدَّ رَقَبَتَهُ الطَّوِيلَةَ لِأَعْلَى حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ ضِعْفَ الطُّولِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مُنْذُ دَقِيقَةٍ مَضَتْ. رَاحَ يَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ خَطَرٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْكَبِيرَيْنِ، وَرَفْرَفَ بِهِمَا بِقُوَّةٍ مُرْتَفِعًا فِي الْهَوَاءِ؛ ثُمَّ حَلَّقَ عَالِيًا فَوْقَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَدَارَ دَائِرَةً وَاسِعَةً فِي الْهَوَاءِ، وَرَأْسُهُ مُسْتَقِرٌّ مَرَّةً أُخْرَى بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَسَاقَاهُ الطَّوِيلَتَانِ مَمْدُودَتَانِ خَلْفَهُ، وَاتَّجَهَ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ مُبَاشَرَةً.

طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنِ الْمِنْكُ بيلي وَثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو قَدِ ابْتَعَدَا كَثِيرًا كَمَا افْتَرَضَ مالك الحزين؛ كَانَا مُخْتَبِئَيْنِ فِي مَكَانٍ يَسْتَطِيعَانِ مُرَاقَبَتَهُ مِنْهُ، وَمَا إِنْ بَسَطَ جَنَاحَيْهِ، حَتَّى بَدَآ يَعُودَانِ أَدْرَاجَهُمَا تِجَاهَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ لِيَرَيَا مَا سَيَحْدُثُ هُنَاكَ؛ فَقَدْ كَانَا يَعْرِفَانِ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ أَنَّ مالك الحزين كَانَ يَطِيرُ مُتَّجِهًا إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ عَلَى أَمَلِ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْجَدَّ ضفدع عَلَى الْإِفْطَارِ. هُمَا لَمْ يَقْصِدَا حَقِيقَةً أَنْ يُصِيبَ الْجَدَّ ضفدع أَيُّ أَذًى، وَلَكِنَّهُمَا قَصَدَا إِفْزَاعَهُ بِشِدَّةٍ؛ فَقَدْ كَانَا، مِثْلَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، مُتَهَوِّرَيْنِ وَمُسْتَهْتِرَيْنِ لِلْغَايَةِ، حَتَّى ظَنَّا إِفْزَاعَ الْآخَرِينَ نَوْعًا مِنَ التَّسْلِيَةِ.

قَالَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو، وَهُمَا يُسْرِعَانِ الْخُطَى: «بِالطَّبْعِ سَوْفَ نُوقِظُ الْجَدَّ ضفدع فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لِيَهْرُبَ دُونَ أَنْ يُصَابَ بِشَيْءٍ أَكْبَرَ مِنَ الْفَزَعِ الشَّدِيدِ. سَيَكُونُ مِنَ الْمُمْتِعِ جِدًّا أَنْ نَرَى عَيْنَيْهِ الْكَبِيرَتَيْنِ الْجَاحِظَتَيْنِ تَبْرُزَانِ مِنْ مَحْجِرَيْهِمَا عِنْدَمَا يَفْتَحُهُمَا وَيَرَى مالك الحزين عَلَى وَشْكِ الْتِهَامِهِ! وَسَيُجَنُّ جُنُونُ مالك الحزين عِنْدَمَا نَحْرِمُهُ مِنَ الْإِفْطَارِ الَّذِي كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنَ الْحُصُولِ عَلَيْهِ!»

وَصَلَا إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ قَبْلَ مالك الحزين، الَّذِي سَلَكَ طَرِيقًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ، وَاخْتَبَآ بَيْنَ أَعْشَابِ الْبِرَكِ حَيْثُ يُمْكِنُهُمَا أَنْ يَرَيَاهُ دُونَ أَنْ يَرَاهُمَا أَحَدٌ.

قَالَ الْمِنْكُ بيلي هَامِسًا: «هَا هُوَ صَدِيقُنَا الْعَجُوزُ مِثْلَمَا تَرَكْتُهُ تَمَامًا، مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ.»

وَفِعْلًا كَانَ الْجَدُّ ضفدع جَالِسًا عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ مُغْمِضَ الْعَيْنَيْنِ، أَوْ أَنَّ عَيْنَيْهِ بَدَتَا مُغْمَضَتَيْنِ. وَجَلَسَ فَأْرُ الْمِسْكِ جيري أَعْلَى بَيْتِهِ الْكَبِيرِ، وَقَدْ بَدَا جيري مُنْشَغِلًا تَمَامًا بِفَتْحِ إِحْدَى مَحَارِ الْمَاءِ الْعَذْبِ عَنْ أَنْ يَلْحَظَ أَيَّ شَيْءٍ دُونَهَا؛ وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّهُ كَانَ يُرَاقِبُ كُلَّ مَا يَحْدُثُ حَوْلَهُ؛ فَقَدْ سَاوَرَهُ شَكٌّ فِي أَنَّ الْمِنْكَ بيلي يُدَبِّرُ حِيلَةً مَا لِلْجَدِّ ضفدع؛ وَلِذَا حَذَّرَهُ. وَعِنْدَمَا رَأَى مالك الحزين قَادِمًا نَاحِيَةَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، حَذَّرَ الْجَدَّ ضفدع مَرَّةً أُخْرَى، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ صَارَ يَتَظَاهَرُ فَقَطْ بِالنَّوْمِ.

طَارَ مالك الحزين إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ مُبَاشَرَةً، وَعَلَى حَافَتِهَا — بَيْنَ عُشْبِ الْبِرَكِ — أَنْزَلَ سَاقَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ وَوَقَفَ بِأَصَابِعِ قَدَمَيْهِ فِي الْمَاءِ، مَادًّا رَقَبَتَهُ الطَّوِيلَةَ لِأَعْلَى حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَةِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ كُلِّهَا. هُنَاكَ — تَمَامًا كَمَا قَالَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو — جَلَسَ الْجَدُّ ضفدع عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ، مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ، أَوْ أَنَّهُ بَدَا مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ. لَمَعَتْ عَيْنَا مالك الحزين مِنْ فَرْطِ جُوعِهِ وَتَخَيَّلَ كَمْ سَيَكُونُ الْجَدُّ ضفدع إِفْطَارًا رَائِعًا. وَبِبُطْءٍ شَدِيدٍ، بَدَأَ مالك الحزين يَمْشِي — مُتَوَخِّيًا أَشَدَّ الْحَذَرِ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا — عَلَى طُولِ الشَّاطِئِ حَتَّى يَقِفَ فِي مُوَاجَهَةِ وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ حَيْثُ يَجْلِسُ الْجَدُّ ضفدع، وَهُنَاكَ بَيْنَ عُشْبِ الْبِرَكِ عَلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، لَكَزَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو وَالْمِنْكُ بيلي كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ، وَوَضَعَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَدَهُ عَلَى فَمِهِ بِسُرْعَةٍ لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنَ الِانْفِجَارِ ضَحِكًا.

الفصل الرابع

صَبْرُ مالك الحزين الأَزْرَقِ

فِي التَّأَنِّي السَّلَامَةُ
وَفِي الْعَجَلَةِ النَّدَامَةُ.

إِذَا كَانَ مالك الحزين يَتَمَيَّزُ بِشَيْءٍ فَهُوَ الصَّبْرُ. نَعَمْ، إِنَّ مالك الحزين صَبُورٌ بِالتَّأْكِيدِ؛ فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِذَا كَانَ ثَمَّةَ شَيْءٌ يَسْتَحِقُّ الْحُصُولَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ الِانْتِظَارَ، وَأَنَّهُ إِذَا انْتَظَرَ وَقْتًا كَافِيًا، فَسَيَحْصُلُ عَلَيْهِ بِلَا شَكٍّ. رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ كَوْنِهِ صَيَّادًا طُولَ عُمُرِهِ، مِثْلَ أَبِيهِ وَجَدِّهِ؛ فَكَمَا تَعْلَمُونَ، الصَّيَّادُ دُونَ صَبْرٍ نَادِرًا مَا يَصْطَادُ شَيْئًا. بِالطَّبْعِ يَسْخَرُ الْمِنْكُ بيلي وَثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَيَزْعُمَانِ أَنَّهُ لَيْسَ صَحِيحًا؛ لَكِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّهُمَا يَجُوعَانِ أَحْيَانًا، وَمَا كَانَ ذَلِكَ لِيَحْدُثَ لَوْ كَانَ لَدَيْهِمَا قَلِيلٌ مِنْ صَبْرِ مالك الحزين.

وَالْجَدُّ ضفدع صَبُورٌ جِدًّا جِدًّا هُوَ الْآخَرُ؛ فَهُوَ يَسْتَطِيعُ الْجُلُوسَ بِلَا حَرَاكٍ فَتَرَاتٍ طَوِيلَةً جِدًّا فِي انْتِظَارِ مَجِيءِ شَيْءٍ مَا إِلَيْهِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْجُلُوسِ بِلَا حَرَاكٍ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا، وَيَسْتَطِيعُ مالك الحزين الْوُقُوفَ بِلَا حَرَاكٍ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا أَيْضًا؛ حَتَّى إِنَّ فَأْرَ الْمِسْكِ جيري وَالْمِنْكَ بيلي وَثَعْلَبَ الْمَاءِ الصَّغِيرَ جو كَثِيرًا مَا طَالَ بَيْنَهُمُ الْجِدَالُ بِشَأْنِ أَيُّهُمَا يَسْتَطِيعُ الْبَقَاءَ دُونَ حَرَاكٍ وَقْتًا أَطْوَلَ.

«سَيَكُونُ إِفْطَارًا رَائِعًا.» قَالَهَا مالك الحزين فِي سِرِّهِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي حِرْصٍ بَالِغٍ بِمُحَاذَاةِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ حَتَّى يَقِفَ فِي مُوَاجَهَةِ الْجَدِّ ضفدع مُبَاشَرَةً، وَهُنَاكَ تَوَقَّفَ مالك

الحزين وَنَظَرَ مُتَمَعِّنًا إِلَى الْجَدِّ ضفدع. نَعَمْ، لَا بُدَّ أَنَّهُ نَائِمٌ بِالتَّأْكِيدِ؛ فَعَيْنَاهُ مُغْمَضَتَانِ. ضَحِكَ مالك الحزين فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ دُونَ أَنْ يُصْدِرَ صَوْتًا، وَاسْتَعَدَّ لِلْخَوْضِ فِي الْمَاءِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى حَيْثُ يَكُونُ الْجَدُّ ضفدع فِي مُتَنَاوَلِهِ.

طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ الْجَدُّ ضفدع يَضْحَكُ فِي سِرِّهِ هُوَ الْآخَرُ؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ نَائِمًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، كَانَ فَقَطْ يَتَظَاهَرُ بِالنَّوْمِ، بَيْنَمَا ظَلَّ طَوَالَ الْوَقْتِ يُرَاقِبُ مالك الحزين مِنْ طَرْفِ إِحْدَى عَيْنَيْهِ الْجَاحِظَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ. وَبِمُنْتَهَى الْبُطْءِ وَالْحَذَرِ — بَحَيْثُ لَا يُصْدِرُ أَدْنَى صَوْتٍ — رَفَعَ مالك الحزين إِحْدَى قَدَمَيْهِ لِيَخُوضَ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ. تَظَاهَرَ الْجَدُّ ضفدع بِالتَّثَاؤُبِ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ الْجَاحِظَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ؛ تَسَمَّرَ مالك الحزين وَاقِفًا عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ دُونَ أَنْ يُحَرِّكَ رِيشَةً، فَتَثَاءَبَ الْجَدُّ ضفدع مَرَّةً أُخْرَى، وَأَحْنَى رَأْسَهُ كَأَنَّمَا مَنَعَتْهُ شِدَّةُ النُّعَاسِ مِنَ الْبَقَاءِ مُسْتَيْقِظًا، وَأَرْخَى جَفْنَيْهِ لِيُغَطِّيَا نِصْفَ عَيْنَيْهِ. انْتَظَرَ مالك الحزين طَوِيلًا، ثُمَّ سَحَبَ عُنُقَهُ الطَّوِيلَ — رُوَيْدًا رُوَيْدًا، بِبُطْءٍ شَدِيدٍ حَتَّى إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ هُنَاكَ لَمَا كُنْتَ سَتَلْحَظُ تَحَرُّكَهُ — حَتَّى اسْتَقَرَّ رَأْسُهُ عَلَى كَتِفَيْهِ.

قَالَ مالك الحزين لِنَفْسِهِ: «أَظُنُّ أَنِّي يَجِبُ أَنْ أَنْتَظِرَ حَتَّى يَسْتَغْرِقَ فِي النَّوْمِ مَرَّةً أُخْرَى.»

وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع لَمْ يَنَمْ، وَإِنَّمَا ظَلَّ يَحْنِي رَأْسَهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، ثُمَّ إِنَّهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُقَرِّرُ مالك الحزين أَنَّ الْجَدَّ ضفدع نَامَ فِعْلًا هَذِهِ الْمَرَّةَ، تَنْفَتِحُ عَيْنَاهُ عَنْ آخِرِهِمَا فَجْأَةً. وَهَكَذَا طَوَالَ الصَّبَاحِ الطَّوِيلِ وَقَفَ مالك الحزين عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ دُونَ حَرَاكٍ، يُرَاقِبُ وَيَنْتَظِرُ وَيَزْدَادُ جُوعًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، وَطَوَالَ الصَّبَاحِ الطَّوِيلِ جَلَسَ الْجَدُّ ضفدع عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ، مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ يَشْعُرُ بِنُعَاسٍ شَدِيدٍ، بَيْنَمَا هُوَ يَسْتَمْتِعُ بِحَمَّامِ شَمْسٍ مُرِيحٍ طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي اسْتِرْخَاءٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ حَظِيَ بِإِفْطَارٍ دَسِمٍ مِنَ الذُّبَابِ الْأَخْضَرِ الْأَحْمَقِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ.

وَهُنَاكَ بَيْنَ عُشْبِ الْبِرَكِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، قَبَعَ الشَّقِيَّانِ الصَّغِيرَانِ بِفَرْوَيْهِمَا الْبُنِّيَّيْنِ يَنْتَظِرَانِ وَيَتَرَقَّبَانِ الْفَزَعَ الشَّدِيدَ الَّذِي خَطَّطَا أَنْ يُصِيبَ الْجَدَّ ضفدع، عِنْدَمَا أَرْسَلَا مالك الحزين لِيُحَاوِلَ الْإِمْسَاكَ بِهِ؛ كَانَ هَذَانِ هُمَا الْمِنْكَ بيلي وَثَعْلَبَ الْمَاءِ

الصَّغِيرَ جو. فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ضَحِكَا فِي نَفْسَيْهِمَا وَلَكِنْ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ عِنْدَ تَفْكِيرِهِمَا فِي الْحِيلَةِ الَّتِي لَعِبَاهَا، ثُمَّ إِنَّهُمَا حِينَ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ، بَدَآ يَشْعُرَانِ بِالتَّعَبِ وَالضَّجَرِ؛ فَهُمَا لَمْ يَكُونَا يَتَحَلَّيَانِ بِالصَّبْرِ، وَأَخِيرًا اسْتَسْلَمَا فِي اسْتِنْكَارٍ وَتَسَلَّلَا مُبْتَعِدَيْنِ لِيَجِدَا تَسْلِيَةً أَكْثَرَ إِمْتَاعًا. رَآهُمَا الْجَدُّ ضفدع يُغَادِرَانِ وَضَحِكَ فِي نَفْسِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى.

الفصل الخامس

الْجَدُّ ضفدع يَقْفِزُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ

رَاحَ صَقْرُ الْمُسْتَنْقَعَاتِ أبيض الذيل يَجُوبُ السَّمَاءَ ذَهَابًا وَإِيَابًا فَوْقَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؛ فَقَدْ كَانَ جَائِعًا، مَثَلُهُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ مالك الحزين الْأَزْرَقِ. حَدَّقَ النَّظَرَ بِعَيْنَيْهِ الثَّاقِبَتَيْنِ إِلَى أَسْفَلَ بَيْنَ الْأَعْشَابِ، بَاحِثًا عَنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ؛ وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ جِنِّيَّةً طَيِّبَةً نَبَّهَتِ الْكَائِنَاتِ الصَّغِيرَةَ جِدًّا الَّتِي تَعِيشُ هُنَاكَ إِلَى أَنَّ الصَّقْرَ أبيض الذيل قَدْ خَرَجَ لِلصَّيْدِ. رُبَّمَا كَانَتْ إِحْدَى النَّسَمَاتِ الرَّقِيقَةِ الْمَرِحَةِ بَنَاتِ الرِّيَاحِ الْغَرْبِيَّةِ الْعَجُوزِ؛ فَكَمَا تَعْلَمُونَ، هِيَ دَائِمًا تَتَنَقَّلُ بِسُرْعَةٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ مُحَاوِلَةً إِسْدَاءَ مَعْرُوفٍ لِأَحَدٍ.

إِنَّهَا تُحِبُّ الرَّقْصَ وَالْمَرَحَ وَاللَّعِبَ
مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الْغَسَقِ وَطَوَالَ الْيَوْمِ،
وَلَكِنْ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا تُحِبُّ أَنْ تَجِدَ
فُرْصَةً لِتُسْدِيَ مَعْرُوفًا طَيِّبًا لِأَحَدٍ.

عَلَى أَيِّ حَالٍ، بَدَا أَنَّ الثُّعْبَانَ الْأَخْضَرَ الصَّغِيرَ يَعْلَمُ بِخُرُوجِ الصَّقْرِ أبيض الذيل لِلصَّيْدِ، وَاسْتَطَاعَ الْبَقَاءَ بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَثَرٌ لِفَأْرِ الْمُرُوجِ داني؛ فَكَانَتْ ثَمَرَةُ بَحْثِهِ الصَّبُورِ بِضْعَةَ جَنَادِبَ حَمْقَاءَ فَقَطْ، وَتِلْكَ لَمْ تَزِدْهُ إِلَّا جُوعًا. وَلَكِنَّ الصَّقْرَ أبيض الذيل الْعَجُوزَ لَدَيْهِ قَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمُثَابَرَةِ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ حَظِّهِ السَّيِّئِ، اسْتَمَرَّ فِي بَحْثِهِ، ذَهَابًا وَإِيَابًا، ذَهَابًا وَإِيَابًا، حَتَّى غَطَّى بَحْثُهُ جَمِيعَ أَرْجَاءِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَأَخِيرًا قَرَّرَ أَنَّ بَقَاءَهُ هُنَاكَ مَضْيَعَةٌ لِلْوَقْتِ.

«سَوْفَ أُلْقِي نَظْرَةً عَلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ شَيْئًا هُنَاكَ، فَسَأَقُومُ بِجَوْلَةٍ أَوِ اثْنَتَيْنِ عَلَى طُولِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ.» هَكَذَا فَكَّرَ الصَّقْرُ أبيض الذيل وَاتَّجَهَ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، وَقَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا بِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ مالك الحزين الْأَزْرَقَ وَاقِفًا بِلَا حَرَاكٍ عَلَى حَافَتِهَا، وَعَرَفَ مِنْ مَظْهَرِ مالك الحزين أَنَّهُ يُرَاقِبُ شَيْئًا يَأْمُلُ فِي صَيْدِهِ.

فَكَّرَ الصَّقْرُ أبيض الذيل قَائِلًا: «إِذَا كَانَتْ سَمَكَةً، فَلَنْ تَنْفَعَنِي فِي شَيْءٍ؛ فَأَنَا لَسْتُ بِصَيَّادٍ. وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ضِفْدَعًا … فَحَسَنًا؛ الضَّفَادِعُ لَيْسَتْ طَعَامًا جَيِّدًا كَفِئْرَانِ الْمُرُوجِ السَّمِينَةِ، وَلَكِنَّهَا مُشْبِعَةٌ جِدًّا.»

فَإِذْ خَطَرَتْ بِبَالِهِ تِلْكَ الْفِكْرَةُ، زَادَ مِنْ سُرْعَتِهِ قَلِيلًا، ثُمَّ رَأَى مَا كَانَ مالك الحزين يُرَاقِبُهُ بِتَرْكِيزٍ شَدِيدٍ؛ كَانَ — كَمَا تَعْرِفُونَ — الْجَدَّ ضفدع جَالِسًا عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ. أَطْلَقَ الصَّقْرُ أبيض الذيل الْعَجُوزُ تَنْهِيدَةَ رِضًا طَوِيلَةً؛ فَالْجَدُّ ضفدع بِلَا شَكٍّ سَيَكُونُ مُشْبِعًا جِدًّا، وَهَذَا أَكِيدٌ.

كَانَ مالك الحزين الْأَزْرَقُ يُرَاقِبُ الْجَدَّ ضفدع بِتَرْكِيزٍ شَدِيدٍ بِحَيْثُ لَمْ يَرَ شَيْئًا سِوَاهُ، وَانْشَغَلَ الْجَدُّ ضفدع تَمَامًا بِمُرَاقَبَةِ مالك الحزين بِحَيْثُ كَادَ يَنْسَى احْتِمَالَ وُجُودِ أَخْطَارٍ أُخْرَى. بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، كَانَ يَجْلِسُ مُولِيًا ظَهْرَهُ لِلصَّقْرِ أبيض الذيل الْعَجُوزِ. بِالطَّبْعِ لَاحَظَ الصَّقْرُ أبيض الذيل ذَلِكَ، وَكَادَ يَضْحَكُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ؛ فَكَثِيرًا جِدًّا مَا حَاوَلَ الْإِمْسَاكَ بِالْجَدِّ ضفدع، وَلَكِنْ دَائِمًا كَانَ الْجَدُّ ضفدع يَرَاهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ الِاقْتِرَابَ مِنْهُ بِفَتْرَةٍ.

وَلَكِنْ بِالرَّغْمِ مِنْ بَصَرِهِ الْحَادِّ، لَمْ يَرَ الصَّقْرُ أبيض الذيل الْعَجُوزُ أَحَدًا آخَرَ كَانَ جَالِسًا عَلَى مَرْأًى مِنَ الْجَمِيعِ؛ لَمْ يَرَهُ لِأَنَّ عَقْلَهُ كَانَ مُنْشَغِلًا تَمَامًا بِالْجَدِّ ضفدع وَمالك الحزين بِحَيْثُ غَفَلَ عَنِ النَّظَرِ حَوْلَهُ، كَمَا يَفْعَلُ عَادَةً. انْسَابَ فَوْقَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ بِسُرْعَةٍ مُلَامِسًا أَطْرَافَ عُشْبِ الْبِرَكِ، وَمَدَّ مَخَالِبَهُ الْكَبِيرَةَ الْقَاسِيَةَ لِيَقْبِضَ عَلَى الْجَدِّ ضفدع، الَّذِي جَلَسَ هُنَاكَ مُتَظَاهِرًا بِالنَّوْمِ بَيْنَمَا كَانَ طَوَالَ الْوَقْتِ يُرَاقِبُ مالك الحزين وَيَضْحَكُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ عِنْدَمَا يُفَكِّرُ كَيْفَ كَانَ يَخْدَعُ مالك الحزين.

طَاخْ! كَانَ ذَلِكَ صَوْتَ ذَيْلِ فَأْرِ الْمِسْكِ جيري وَهُوَ يَضْرِبُ الْمَاءَ. عَرَفَ الْجَدُّ ضفدع مَعْنَى ذَلِكَ … خَطَرٌ! لَمْ يَعْرِفْ مَاهِيَّةَ الْخَطَرِ، وَلَمْ يَنْتَظِرْ لِيَعْرِفَ؛ فَقَدْ قَدَّرَ أَنَّهُ سَيَكُونُ

ثَمَّةَ وَقْتٌ كَافٍ لِذَلِكَ لَاحِقًا. فَعِنْدَمَا يَضْرِبُ فَأْرُ الْمِسْكِ جيري الْمَاءَ بِذَيْلِهِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، يَكُونُ الْخَطَرُ قَرِيبًا جِدًّا؛ فَغَطَسَ الْجَدُّ ضفدع فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ مُصْدِرًا نَقِيقًا فَزِعًا، وَكَانَ الصَّقْرُ أبيض الذيل الْعَجُوزُ قَرِيبًا لِلْغَايَةِ بِحَيْثُ تَنَاثَرَ الْمَاءُ فِي وَجْهِهِ مُبَاشَرَةً. أَخَذَ يُنْشِبُ مَخَالِبَهُ الضَّخْمَةَ بِجُنُونٍ، وَلَكِنْ كُلُّ مَا اسْتَطَاعَ الْإِمْسَاكَ بِهِ كَانَ قِطْعَةً مِنْ وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي كَانَ الْجَدُّ ضفدع جَالِسًا عَلَيْهَا، وَبِالطَّبْعِ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ تُفِيدُ مَعِدَتَهُ الْفَارِغَةَ شَيْئًا.

فَدَارَ الصَّقْرُ أبيض الذيل بِسُرْعَةٍ فِي الْهَوَاءِ مُطْلِقًا صَيْحَةَ حَنَقٍ وَغَضَبٍ، وَانْقَضَّ مِنْ فَوْرِهِ عَلَى فَأْرِ الْمِسْكِ جيري، وَلَكِنَّ جيري مَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ أَطْلَقَ ضِحْكَةً مُسْتَفِزَّةً وَغَطَسَ فِي الْمَاءِ.

الفصل السادس

مُشَاجَرَةُ مالك الحزين وَالصَّقْرِ أبيض الذيل

«فَعَلْتَ!» «لَمْ أَفْعَلْ! لَمْ أَفْعَلْ!» «بَلْ فَعَلْتَ!»

يَا لَلْجَلَبَةِ الَّتِي ثَارَتْ عِنْدَمَا غَابَ الْجَدُّ ضفدع عَنِ الْأَعْيُنِ!

فَقَدْ وَقَفَ مالك الحزين الْأَزْرَقُ بِصَبْرٍ شَدِيدٍ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ طَوَالَ الصَّبَاحِ الطَّوِيلِ مُنْتَظِرًا اسْتِغْرَاقَ الْجَدِّ ضفدع فِي النَّوْمِ عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ، وَكَانَ مُتَيَقِّنًا مِنْ أَنَّهُ سَيَحْصُلُ عَلَى الْجَدِّ ضفدع لِإِفْطَارِهِ وَغَدَائِهِ، فَهُوَ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَنَاوَلَ إِفْطَارَهُ، وَقَدْ حَانَ مَوْعِدُ الْغَدَاءِ. كَانَ جَائِعًا جِدًّا حَتَّى إِنَّهُ أَحَسَّ أَنَّ جُدْرَانَ مَعِدَتِهِ سَتَنْهَارُ بِالتَّأْكِيدِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يَدْعَمُهَا، ثُمَّ — دُونَ أَيِّ سَابِقِ إِنْذَارٍ — انْسَابَ الصَّقْرُ أبيض الذيل الْعَجُوزُ فَوْقَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ مَادًّا مَخَالِبَهُ الْعِمْلَاقَةَ لِيَقْبِضَ عَلَى الْجَدِّ ضفدع، وَغَطَسَ الْجَدُّ ضفدع فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ مُطْلِقًا رَذَاذًا عَظِيمًا فِي آخِرِ لَحْظَةٍ.

وَهَلْ ثَمَّةَ شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ أَصْعَبُ عَلَى الْمِزَاجِ مِنْ أَنْ تَفْقِدَ وَجْبَةً شَهِيَّةً عِنْدَمَا تَكُونُ تَتَضَوَّرُ جُوعًا؟ بِالطَّبْعِ مالك الحزين لَمْ يَنَلْ تِلْكَ الْوَجْبَةَ الشَّهِيَّةَ حَقِيقَةً، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ سَيَحْصُلُ عَلَيْهَا بِلَا شَكٍّ؛ لِذَلِكَ عِنْدَمَا قَفَزَ الْجَدُّ ضفدع فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، بِالطَّبْعِ فَقَدَ مالك الحزين أَعْصَابَهُ تَمَامًا، وَبَدَتْ عَيْنَاهُ الصَّفْرَاوَانِ كَأَنَّمَا تَزْدَادَانِ اصْفِرَارًا.

وَصَرَخَ بِحِدَّةٍ فِي وَجْهِ الصَّقْرِ أبيض الذيل الْعَجُوزِ قَائِلًا: «أَيُّهَا اللِّصُّ! أَيُّهَا السَّارِقُ!»

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الصَّقْرَ أبيض الذيل الْعَجُوزَ كَانَ جَائِعًا تَمَامًا كَمالك الحزين، بَلْ كَانَ أَيْضًا أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى الْإِمْسَاكِ بِالْجَدِّ ضفدع، وَهُوَ أَسْرَعُ غَضَبًا مِنْ مالك الحزين؛ فَقَدْ

دَارَ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ لِيَنْقَضَّ عَلَى فَأْرِ الْمِسْكِ جيري، وَلَكِنَّ جيري ضَحِكَ بِأُسْلُوبٍ غَايَةٍ فِي الِاسْتِفْزَازِ وَغَطَسَ تَحْتَ الْمَاءِ؛ فَاشْتَاطَ الصَّقْرُ أبيض الذيل الْعَجُوزُ غَضَبًا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، ثُمَّ نَعَتَهُ مالك الحزين بِاللِّصِّ وَالسَّارِقِ! كَانَ ذَلِكَ فَوْقَ احْتِمَالِ أَيِّ صَقْرٍ ذِي كَرَامَةٍ. نَعَمْ، كَانَ ذَلِكَ يَفُوقُ الِاحْتِمَالَ! فَرَاحَ الصَّقْرُ أبيض الذيل يَرْتَجِفُ مِنْ فَرْطِ غَضَبِهِ؛ إِذْ دَارَ فِي الْهَوَاءِ مَرَّةً أُخْرَى وَانْقَضَّ عَلَى مالك الحزين.

وَصَاحَ: «لَسْتُ لِصًّا وَلَا سَارِقًا أَكْثَرَ مِنْكَ!»

فَصَرَخَ مالك الحزين: «لَقَدْ أَفْزَعْتَ ضِفْدَعِي!»

«لَمْ أَفْعَلْ!»

«بَلْ فَعَلْتَ!»

«لَمْ أَفْعَلْ! لَمْ يَكُنْ ضِفْدَعَكَ، كَانَ ضِفْدَعِي أَنَا!»

قَالَ الْجَدُّ ضفدع لِفَأْرِ الْمِسْكِ جيري، وَهُمَا يَسْتَرِقَانِ النَّظَرَ مِنْ أَسْفَلِ بَعْضِ أَوْرَاقِ الزَّنْبَقِ: «نَقْ نَقْ! لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنِّي مِلْكٌ لِأَحَدٍ، حَقًّا لَمْ أَعْرِفْ ذَلِكَ، أَكُنْتَ تَعْرِفُ؟»

رَدَّ جيري، وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ مِنْ فَرْطِ الْإِثَارَةِ وَهُوَ يُرَاقِبُ مالك الحزين وَالصَّقْرَ أبيض الذيل: «لَا، لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ ذَلِكَ.»

«أَنْتَ أَكْسَلُ مِنْ أَنْ تَصْطَادَ كَالشُّرَفَاءِ!» قَالَهَا الصَّقْرُ أبيض الذيل الْعَجُوزُ مُسْتَهْزِئًا، وَهُوَ يَحُومُ حَوْلَ مالك الحزين، مُتَرَقِّبًا الْفُرْصَةَ لِيَضْرِبَهُ بِمَخَالِبِهِ الْعَظِيمَةِ الْقَاسِيَةِ.

فَرَدَّ عَلَيْهِ مالك الحزين قَائِلًا: «أَنَا أَشْرَفُ مِنْ أَنْ آخُذَ اللُّقْمَةَ مِنْ أَفْوَاهِ الْآخَرِينَ!» وَرَاحَ يَتَقَافَزُ لِيَبْقَى مُوَاجِهًا لِلصَّقْرِ أبيض الذيل طَوَالَ الْوَقْتِ، وَاضِعًا أَحَدَ جَنَاحَيْهِ الْعَرِيضَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ أَمَامَهُ كَدِرْعٍ، وَمِنْقَارُهُ الطَّوِيلُ الْقَوِيُّ مُسْتَعِدٌّ لِلْهُجُومِ.

انْتَصَبَتْ كُلُّ رِيشَةٍ عَلَى رَأْسِ الصَّقْرِ أبيض الذيل غَضَبًا، وَبَدَا شَرِسًا مُخِيفًا، وَأَخِيرًا لَاحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ — أَوْ هَكَذَا خُيِّلَ إِلَيْهِ — فَسَدَّدَ ضَرْبَتَهُ، وَلَكِنْ كُلُّ مَا نَالَهُ كَانَ رِيشَةً مِنَ الْجَنَاحِ الضَّخْمِ الَّذِي أَبْقَاهُ مالك الحزين أَمَامَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ الْفِرَارَ، ضَرَبَهُ ذَلِكَ الْمِنْقَارُ الطَّوِيلُ مَرَّتَيْنِ، فَصَرَخَ فِي أَلَمٍ. وَهَكَذَا رَاحَا يَتَعَارَكَانِ، حَتَّى أَصْبَحَتِ الْأَرْضُ مَكْسُوَّةً بِالرِّيشِ، وَأَنْهَكَهُمَا التَّعَبُ. ثُمَّ طَارَ الصَّقْرُ أبيض الذيل الْعَجُوزُ مُبْتَعِدًا فَوْقَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ فِي بُطْءٍ وَأَلَمٍ، بَيْنَمَا طَارَ مالك الحزين مُتَثَاقِلًا بِأَجْنِحَةٍ مُمَزَّقَةٍ شَعْثَاءَ

إِلَى أَسْفَلِ الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ مُتَّجِهًا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَكِلَاهُمَا غَاضِبٌ مُتَيَبِّسُ الْعَضَلَاتِ وَمَا زَالَ جَائِعًا.

«يَا إِلَهِي! يَا إِلَهِي! يَا لَفَظَاعَةِ الْغَضَبِ وَقِلَّةِ جَدْوَاهُ!» قَالَهَا الْجَدُّ ضفدع، وَهُوَ يَعُودُ لِيَعْتَلِيَ وَرَقَةَ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءَ الْكَبِيرَةَ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الدَّافِئَةِ.

الفصل السابع

فَمُ الْجَدِّ ضفدع الْكَبِيرُ يُوقِعُه فِي الْمَتَاعِبِ

الْجَدُّ ضفدع فَمُهُ كَبِيرٌ جِدًّا، أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ، الْجَمِيعُ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، وَكَثِيرًا مَا هَزَأَ أَصْدِقَاؤُهُ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ وَالْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ مِنْ حَجْمِ فَمِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُعِرْ ذَلِكَ أَدْنَى اهْتِمَامٍ، وَلَا أَيَّ اهْتِمَامٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَقَدْ تَعَلَّمَ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ أَنَّ الْفَمَ الْكَبِيرَ مُفِيدٌ جِدًّا فِي صَيْدِ الذُّبَابِ الْأَخْضَرِ الْأَحْمَقِ، خَاصَّةً عِنْدَمَا يُصَادِفُ أَنْ تَظْهَرَ اثْنَتَانِ مَعًا؛ لِذَلِكَ هُوَ فَخُورٌ بِفَمِهِ الْكَبِيرِ، تَمَامًا مِثْلَمَا هُوَ فَخُورٌ بِعَيْنَيْهِ الْجَاحِظَتَيْنِ.

وَلَكِنْ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ يُوقِعُهُ فَمُهُ الْكَبِيرُ فِي الْمَتَاعِبِ، كَعَادَةِ الْأَفْوَاهِ الْكَبِيرَةِ؛ فَسِعَتُهُ كَبِيرَةٌ حَتَّى إِنَّهُ يَجْعَلُهُ نَهِمًا أَحْيَانًا؛ فَهُوَ يَحْشُوهُ عَنْ آخِرِهِ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مَعِدَتُهُ قَدِ امْتَلَأَتْ بِالْفِعْلِ لِأَقْصَى سِعَتِهَا، وَبِالطَّبْعِ حِينَئِذٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْبَلْعِ، حِينَهَا يَبْدُو الْجَدُّ ضفدع شَدِيدَ الْحُمْقِ وَالسَّخَافَةِ وَالْبَلَاهَةِ، وَالْجَمِيعُ يَصِفُونَهُ بِالنَّهِمِ الَّذِي بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ مَا يَكْفِي لِيَكُونَ أَعْقَلَ مِنْ ذَلِكَ، وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَخْجَلَ مِنْ نَفْسِهِ. رُبَّمَا هُوَ يَخْجَلُ بِالْفِعْلِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُظْهِرُ ذَلِكَ مُطْلَقًا، وَيَكَادُ يَكُونُ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ مِنْ جَدِيدٍ مَتَى سَنَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ.

وَقَدْ حَدَثَ أَنَّهُ ذَاتَ صَبَاحٍ، عِنْدَمَا كَانَ الْجَدُّ ضفدع قَدْ تَنَاوَلَ إِفْطَارًا جَيِّدًا جِدًّا مِنَ الذُّبَابِ الْأَخْضَرِ الْأَحْمَقِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ لِأَيِّ طَعَامٍ آخَرَ؛ ظَهَرَ أَمَامَهُ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو، الَّذِي كَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ لِلصَّيْدِ. كَانَ قَدْ أَكَلَ قَدْرَ طَاقَتِهِ، وَبَدَأَ يَسْبَحُ حَامِلًا مَا تَبَقَّى مِنْ صَيْدِهِ إِلَى مَخْبَأٍ سِرِّيٍّ أَعْلَى الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ.

وَإِنَّ الْجَدَّ ضفدع لَيَرُوقُ لَهُ كَثِيرًا تَنَاوُلُ السَّمَكِ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ عَلَى سَبِيلِ التَّغْيِيرِ، وَعِنْدَمَا رَأَى السَّمَكَاتِ الَّتِي كَانَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو يَحْمِلُهَا، لَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَسَالَ لُعَابُهُ رَغْمَ مَعِدَتِهِ الْمَلْأَى.

حَيَّاهُ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو قَائِلًا: «صَبَاحُ الْخَيْرِ أَيُّهَا الْجَدُّ ضفدع! هَلْ تَنَاوَلْتَ إِفْطَارَكَ؟»

أَرَادَ الْجَدُّ ضفدع أَنْ يُجِيبَهُ بِالنَّفْيِ، وَلَكِنَّهُ يَقُولُ الْحَقِيقَةَ دَائِمًا، فَأَجَابَ: «نَ ... نَعَمْ، لَقَدْ تَنَاوَلْتُ إِفْطَارًا خَفِيفًا. لِمَاذَا تَسْأَلُ؟»

«كَلَّا، لَا يُوجَدُ سَبَبٌ مُحَدَّدٌ، فَقَطْ خَطَرَ بِبَالِي أَنَّكَ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدْ تَنَاوَلْتَ إِفْطَارَكَ، فَلَرُبَّمَا تَرْغَبُ فِي سَمَكَةٍ. وَلَكِنْ بِمَا أَنَّكَ قَدْ تَنَاوَلْتَهُ، فَلَنْ تَرْغَبَ فِيهَا طَبْعًا.» قَالَهَا جو وَقَدْ بَدَأَتْ عَيْنَاهُ اللَّامِعَتَانِ تَبْرُقَانِ، وَأَبْرَزَ السَّمَكَاتِ لِكَيْ يَرَى الْجَدُّ ضفدع كَمْ هِيَ سَمِينَةٌ وَمُشَهِّيَةٌ.

قَالَ الْجَدُّ ضفدع مُتَعَجِّبًا: «نَقْ نَقْ! إِنَّهَا سَمَكَاتٌ شَهِيَّةٌ جِدًّا وَلَا شَكَّ، هَذَا أَكِيدٌ. كَمْ هُوَ لَطِيفٌ مِنْكَ أَنْ تُفَكِّرَ فِي عَجُوزٍ مِسْكِينٍ مِثْلِي! وَأَنَا ... مممم ... رُبَّمَا أَجِدُ مَكَانًا لِسَمَكَةٍ صَغِيرَةٍ جِدًّا فَحَسْبُ، إِنْ كَانَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَسْتَغْنِيَ عَنْ وَاحِدَةٍ.»

كَانَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو يَعْلَمُ مَدَى شَرَاهَةِ الْجَدِّ ضفدع، وَقَدْ نَظَرَ إِلَى مِعْطَفِ الْجَدِّ ضفدع ذِي اللَّوْنَيْنِ الْأَبْيَضِ وَالْأَصْفَرِ، وَرَأَى أَنَّهُ كَانَ مُمْتَلِئًا بِالْفِعْلِ عَنْ آخِرِهِ حَتَّى كَادَ يَنْفَجِرُ. ازْدَادَ الْبَرِيقُ فِي عَيْنَيْهِ شَقَاوَةً عَنْ ذِي قَبْلُ وَهُوَ يَقُولُ: «بِالطَّبْعِ. وَلَكِنَّنِي لَنْ أُفَكِّرَ أَبَدًا فِي إِعْطَاءِ صَدِيقٍ عَزِيزٍ مِثْلِكَ سَمَكَةً صَغِيرَةً جِدًّا.»

وَهَكَذَا الْتَقَطَ جو أَكْبَرَ سَمَكَةٍ لَدَيْهِ وَقَذَفَهَا لِلْجَدِّ ضفدع. هَبَطَتِ السَّمَكَةُ بِالْقُرْبِ مِنْ أَنْفِ الْجَدِّ ضفدع مُطْلِقَةً رَذَاذًا كَثِيرًا، وَكَانَتْ مُقَارِبَةً لِنِصْفِ حَجْمِ الْجَدِّ ضفدع نَفْسِهِ. كَانَتْ سَمِينَةً وَبَدَتْ مُغْرِيَةً جِدًّا بِحَيْثُ نَسِيَ الْجَدُّ ضفدع كُلَّ شَيْءٍ عَنْ مَعِدَتِهِ الْمُمْتَلِئَةِ، لَقَدْ نَسِيَ حَتَّى أَنْ يَكُونَ مُهَذَّبًا وَيَشْكُرَ ثَعْلَبَ الْمَاءِ الصَّغِيرَ جو؛ فَكُلُّ مَا فَعَلَهُ كَانَ أَنْ فَتَحَ فَمَهُ الْكَبِيرَ وَاخْتَطَفَ السَّمَكَةَ. نَعَمْ، هَذَا مَا فَعَلَهُ بِالضَّبْطِ، وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ كَانَ رَأْسُ السَّمَكَةِ قَدْ بَدَأَ يَنْزِلُ فِي حَلْقِ الْجَدِّ ضفدع.

وَكَمَا تَعْلَمُونَ، فَإِنَّ الْجَدَّ ضفدع لَا يَمْلِكُ أَسْنَانًا؛ وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ قَضْمَ الْأَشْيَاءِ لِقَطْعِهَا إِلَى نِصْفَيْنِ، وَإِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَلِعَهَا كَامِلَةً، وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا بَدَأَ فِعْلَهُ

بِالسَّمَكَةِ. كَانَتِ الْأُمُورُ عَلَى مَا يُرَامُ حَتَّى وَصَلَ الرَّأْسُ إِلَى مَعِدَتِهِ، وَلَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَضَعَ شَيْئًا فِي مَكَانٍ مُمْتَلِئٍ بِالْفِعْلِ، وَمَعِدَةُ الْجَدِّ ضفدع كَانَتْ مُمْتَلِئَةً عَنْ آخِرِهَا بِالذُّبَابِ الْأَخْضَرِ الْأَحْمَقِ، وَهُنَاكَ عَلِقَتِ السَّمَكَةُ. وَبِقَدْرِ مَا حَاوَلَ الْجَدُّ ضفدع أَنْ يَزْدَرِدَ السَّمَكَةَ وَيَبْتَلِعَهَا، لَمْ يُفْلِحْ فِي إِنْزَالِهَا قَيْدَ أُنْمُلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَحَاوَلَ إِخْرَاجَهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ قَدْ نَزَلَتْ كَثِيرًا فِي حَلْقِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ إِخْرَاجَهَا، وَحِينَهَا بَدَأَ الْجَدُّ ضفدع يَخْتَنِقُ.

الفصل الثامن

السُّلَحْفَاةُ سبوتي يَلْعَبُ دَوْرَ الطَّبِيبِ

مَا أَبْغَضَ النَّهَمَ مِنْ صِفَةٍ
يُجْمِعُ عَلَيْهَا كُلُّ مَنْ يَرَى!

فِي الْبِدَايَةِ، رَاحَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو يَضْحَكُ بِشِدَّةٍ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى ضِفَّةِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، حَتَّى كَادَ يُفْرِغُ مَا بِمَعِدَتِهِ وَهُوَ يُشَاهِدُ الْجَدَّ ضفدع يُحَاوِلُ ابْتِلَاعَ سَمَكَةٍ فِي نَفْسِ حَجْمِهِ تَقْرِيبًا، فِي حِينِ كَانَ مِعْطَفُهُ ذُو اللَّوْنَيْنِ الْأَبْيَضِ وَالْأَصْفَرِ مَحْشُوًّا عَنْ آخِرِهِ بِالْفِعْلِ بِالذُّبَابِ الْأَخْضَرِ الْأَحْمَقِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَعُدْ فِيهِ مَكَانٌ لِشَيْءٍ آخَرَ. وَكَانَ مِثْلُ هَذَا النَّهَمِ سَيُثِيرُ اشْمِئْزَازَهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مُضْحِكًا إِلَى هَذَا الْحَدِّ، أَوْ إِنَّهُ كَانَ مُضْحِكًا فِي الْبِدَايَةِ؛ إِذْ عَلِقَتِ السَّمَكَةُ، وَذَيْلُهَا يَتَدَلَّى خَارِجَ فَمِ الْجَدِّ ضفدع الْكَبِيرِ. رَاحَ الْجَدُّ ضفدع يَنْتَفِضُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ، مُحَاوِلًا بَلْعَهَا بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، وَوَقَعَ مَرَّتَيْنِ مِنْ عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ مُطْلِقًا رَذَاذًا مِنَ الْمِيَاهِ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يَعْتَلِيهَا مِنْ جَدِيدٍ فِي صُعُوبَةٍ وَيُدِيرُ عَيْنَيْهِ الْجَاحِظَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ فِي مُنَاشَدَةٍ صَامِتَةٍ لِثَعْلَبِ الْمَاءِ الصَّغِيرِ جو حَتَّى يَأْتِيَ لِنَجْدَتِهِ.

وَلَكِنَّ جو كَانَ مُسْتَغْرِقًا فِي الضَّحِكِ مُمْسِكًا بِجَانِبَيْهِ، وَلَمْ يُدْرِكْ أَنَّ الْجَدَّ ضفدع فِي وَرْطَةٍ حَقِيقِيَّةٍ، ثُمَّ جَاءَ الْمِنْكُ بيلي وَفَأْرُ الْمِسْكِ جيري، وَفَوْرَ رُؤْيَتِهِمَا لِلْجَدِّ ضفدع، بَدَآ فِي الضَّحِكِ هُمَا أَيْضًا. ظَلَّا يَضْحَكَانِ وَيَضْحَكَانِ حَتَّى دَمَعَتْ أَعْيُنُهُمَا، وَرَاحَا يَتَدَحْرَجَانِ عَلَى الْأَرْضِ بِجَانِبِ الْبِرْكَةِ وَيَرْكُلَانِ بِأَقْدَامِهِمَا فِي الْهَوَاءِ مِنْ فَرْطِ اسْتِمْتَاعِهِمَا بِالْمَنْظَرِ؛ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ أَطْرَفَ شَيْءٍ رَأَيَاهُ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ جِدًّا.

قَالَ الْمِنْكُ بيلي لَاهِثًا: «هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا النَّهَمِ فِي حَيَاتِكَ؟»

وَهَتَفَ ثَعْلَبُ الْمَاءِ الصَّغِيرُ جو: «لِمَاذَا لَا تَشُدُّهَا خَارِجَ فَمِكَ ثُمَّ تُعِيدُ الْمُحَاوَلَةَ؟»

كَانَ هَذَا بِالضَّبْطِ مَا يُحَاوِلُ الْجَدُّ ضفدع فِعْلَهُ، عَلَى الْأَقَلِّ كَانَ يُحَاوِلُ شَدَّ السَّمَكَةِ خَارِجَ فَمِهِ، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى رَغْبَةٍ فِي أَنْ يُحَاوِلَ ابْتِلَاعَهَا مَرَّةً أُخْرَى، بَلْ بَدَا لَهُ حِينَهَا أَنَّهُ لَنْ يَرْغَبَ فِي رُؤْيَةِ سَمَكَةٍ أُخْرَى طَوَالَ حَيَاتِهِ. وَلَكِنَّ يَدَيِ الْجَدِّ ضفدع لَمْ تُخْلَقَا لِلْإِمْسَاكِ بِالْأَشْيَاءِ الزَّلِقَةِ، وَذَيْلُ السَّمَكَةِ زَلِقٌ جِدًّا فِعْلًا. حَاوَلَ أَوَّلًا بِيَدٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ بِالْيَدِ الْأُخْرَى، وَأَخِيرًا بِالِاثْنَتَيْنِ مَعًا، لَكِنْ دُونَ جَدْوَى عَلَى الْإِطْلَاقِ. لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُزَحْزِحَ السَّمَكَةَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ لَفْظَهَا مِنْ حَلْقِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ تَوَغَّلَتْ فِيهِ كَثِيرًا بِحَيْثُ لَمْ يَعُدْ لَفْظُهَا مُمْكِنًا. وَكُلَّمَا حَاوَلَ إِمْسَاكَ ذَلِكَ الذَّيْلِ الْمُمَوَّجِ بِيَدَيْهِ، بَدَا مُضْحِكًا أَكْثَرَ، وَاشْتَدَّ ضَحِكُ ثَعْلَبِ الْمَاءِ الصَّغِيرِ جو وَالْمِنْكِ بيلي وَفَأْرِ الْمِسْكِ جيري، كَانُوا يُصْدِرُونَ جَلَبَةً عَالِيَةً جَعَلَتِ السُّلَحْفَاةَ سبوتي — الَّذِي كَانَ يَتَشَمَّسُ عَلَى طَرَفِ جِذْعِ شَجَرَةٍ قَدِيمٍ — يَنْزَلِقُ فِي الْمَاءِ وَيَتَّجِهُ نَحْوَهُمْ لِيَعْرِفَ سَبَبَ تِلْكَ الضَّوْضَاءِ كُلِّهَا.

وَإِنَّ السُّلَحْفَاةَ سبوتي شَدِيدُ الْبُطْءِ عَلَى الْيَابِسَةِ، وَلَكِنَّهُ سَبَّاحٌ مَاهِرٌ؛ فَأَسْرَعَ حَتَّى لَا يَفُوتَهُ الْمَرَحُ. فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لَمْ يَرَ الْجَدَّ ضفدع.

فَسَأَلَهُمْ: «عَلَامَ تَضْحَكُونَ؟»

فَاكْتَفَى جو بِالْإِشَارَةِ إِلَى الْجَدِّ ضفدع، وَكَانَ جو عَاجِزًا عَنِ الْكَلَامِ مِنْ فَرْطِ الضَّحِكِ. نَظَرَ سبوتي نَاحِيَةَ وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ وَبَدَأَ فِي الضَّحِكِ هُوَ الْآخَرُ، ثُمَّ رَأَى دُمُوعًا غَزِيرَةً تَنْهَمِرُ مِنْ عَيْنَيِ الْجَدِّ ضفدع وَسَمِعَ أَصْوَاتَ اخْتِنَاقٍ خَافِتَةً؛ فَتَوَقَّفَ عَنِ الضَّحِكِ وَسَبَحَ نَحْوَ الْجَدِّ ضفدع بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُهُ. تَسَلَّقَ وَرَقَةَ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءَ الْكَبِيرَةَ عَلَى الْفَوْرِ، وَمَدَّ عُنُقَهُ لِيَقْبِضَ عَلَى طَرَفِ ذَيْلِ السَّمَكَةِ بِفَمِهِ الشَّبِيهِ بِالْمِنْقَارِ، ثُمَّ اعْتَدَلَ السُّلَحْفَاةُ سبوتي فِي مَوْضِعِهِ وَرَاحَ يَجْذِبُ، وَاعْتَدَلَ الْجَدُّ ضفدع فِي مَوْضِعِهِ وَرَاحَ يَجْذِبُ نَفْسَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ. طَشْ! وَقَعَ الْجَدُّ ضفدع عَلَى ظَهْرِهِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْ وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ. وَطَشْ! وَقَعَ السُّلَحْفَاةُ سبوتي عَلَى ظَهْرِهِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ عَلَى النَّاحِيَةِ الْمُقَابِلَةِ، وَطَفَتِ السَّمَكَةُ الَّتِي سَبَّبَتْ تِلْكَ الْمَتَاعِبَ كُلَّهَا عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ.

«شُكْرًا لَكَ! شُكْرًا لَكَ!» قَالَهَا الْجَدُّ ضفدع لَاهِثًا، وَهُوَ يَزْحَفُ بِوَهَنٍ عَائِدًا فَوْقَ وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ، وَأَرْدَفَ: «لَوْ كُنْتَ تَأَخَّرْتَ دَقِيقَةً أُخْرَى، لَكُنْتُ اخْتَنَقْتُ حَتَّى الْمَوْتِ.»

رَدَّ السُّلَحْفَاةُ سبوتي قَائِلًا: «لَا تَقُلْ ذَلِكَ.»

فَوَعَدَهُ الْجَدُّ ضفدع قَائِلًا: «لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا أَبَدًا.»

الفصل التاسع

الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ يَزُورُ الْجَدَّ ضفدع

الْجُدُّ ضفدع وَالْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ ابْنَا عُمُومَةٍ، بِالطَّبْعِ أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يُخْبِرَكُمْ أَحَدٌ، الْجَمِيعُ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّهُمَا وُلِدَا فِي الْمَكَانِ نَفْسِهِ. نَعَمْ، وُلِدَا فِي الْمَكَانِ نَفْسِهِ؛ لَقَدْ وُلِدَا فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ. كَانَ لِكِلَيْهِمَا ذَيْلٌ طَوِيلٌ وَلَمْ يَمْتَلِكَا رِجْلَيْنِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ، وَكَانَا يَلْعَبَانِ وَيَسْبَحَانِ مَعًا دُونَ الذَّهَابِ إِلَى الشَّاطِئِ مُطْلَقًا، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُمَا فِي صِغَرِهِمَا لَمْ يَكُونَا يَسْتَطِيعَانِ الْعَيْشَ خَارِجَ الْمَاءِ، وَكَانَ مَنْ يَرَاهُمَا لَا يَسْتَطِيعُ التَّمْيِيزَ بَيْنَهُمَا وَيُطْلِقُ عَلَيْهِمَا الِاسْمَ ذَاتَهُ: الشَّرَاغِفَ أَوْ فِرَاخَ الضَّفَادِعِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا نَضِجَا كِفَايَةً لِيَكُونَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا رِجْلَانِ وَصَارَ بِإِمْكَانِهِمَا الْعَيْشُ دُونَ ذَيْلٍ، افْتَرَقَا.

فَالْحِكَايَةُ وَمَا فِيهَا أَنَّ الْجَدَّ ضفدع (بِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنْ جَدًّا حِينَهَا) أَحَبَّ الْبِرْكَةَ الْبَاسِمَةَ كَثِيرًا بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعْ تَخَيُّلَ تَرْكِهَا. كَانَ قَدْ سَمِعَ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ وَمَدَى رَوْعَتِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُصَدِّقَ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَيُّ مَكَانٍ أَجْمَلَ مِنَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، وَهَكَذَا قَرَّرَ أَنْ يَعِيشَ فِيهَا دَائِمًا.

أَمَّا الْعُلْجُومُ فَمَا كَادَ يَتَخَلَّصُ مِنْ ذَيْلِهِ حَتَّى أَدَارَ ظَهْرَهُ لِلْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ وَانْطَلَقَ لِرُؤْيَةِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ. لَمْ يَجِدِ الْجَدُّ ضفدع مَا يَقُولُهُ لِيُقْنِعَهُ بِالْعُدُولِ عَنْ ذَلِكَ، وَرَحَلَ الْعُلْجُومُ، وَهُوَ لَا يَزَالُ صَغِيرًا جِدًّا بِحَيْثُ يُمْكِنُهُ الِاخْتِبَاءُ تَحْتَ وَرَقَةِ بِرْسِيمٍ، وَلَمْ يَتَوَقَّعِ الْجَدُّ ضفدع أَنْ يَرَاهُ ثَانِيَةً، وَلَكِنَّهُ رَآهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مُرُورِ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا جِدًّا. وَعِنْدَمَا عَادَ، كَانَ قَدْ كَبِرَ كَثِيرًا حَتَّى إِنَّ الْجَدَّ ضفدع تَعَرَّفَهُ بِصُعُوبَةٍ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ. وَعَلَى الْفَوْرِ بَدَأَ بَيْنَهُمَا جِدَالٌ اسْتَمَرَّ مُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ، حَوْلَ مَا إِذَا كَانَ الْأَفْضَلَ الْخُرُوجُ إِلَى

الْعَالَمِ الْكَبِيرِ أَمِ الْبَقَاءُ فِي مَوْطِنِ الطُّفُولَةِ، وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ مَا فَعَلَهُ هُوَ الْأَفْضَلُ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا مُتَأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ حَتَّى هَذَا الْيَوْمِ.

وَكُلَّمَا زَارَ الْعُلْجُومُ الْجَدَّ ضفدع — كَمَا كَانَ يَفْعَلُ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ — يَتَجَادَلَانِ وَيَتَجَادَلَانِ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْقَدِيمِ نَفْسِهِ. وَحَدَثَ ذَلِكَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَادَ فِيهِ الْجَدُّ ضفدع يَخْتَنِقُ حَتَّى الْمَوْتِ؛ فَقَدْ سَمِعَ الْعُلْجُومُ عَمَّا حَدَثَ مِنْ إِحْدَى النَّسَمَاتِ الرَّقِيقَةِ الْمَرِحَةِ بَنَاتِ الرِّيَاحِ الْغَرْبِيَّةِ الْعَجُوزِ، وَفِي الْحَالِ تَوَجَّهَ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ لِلاطْمِئْنَانِ عَلَى الْجَدِّ ضفدع، وَلِيُعْرِبَ لَهُ عَنْ سَعَادَتِهِ بِمَجِيءِ السُّلَحْفَاةِ سبوتي فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لِيُخْرِجَ السَّمَكَةَ مِنْ حَلْقِ الْجَدِّ ضفدع.

الْحَقِيقَةُ أَنَّهُ طَوَالَ ذَلِكَ الْيَوْمِ كَانَ عَلَى الْجَدِّ ضفدع أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَى تَعْلِيقَاتٍ سَمِجَةٍ عَنْ شَرَهِهِ؛ فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ فُرْصَةً لَا تُعَوَّضُ لِإِغَاظَتِهِ اسْتَغَلَّهَا جَمِيعُ مَنْ حَوْلَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ. فِي الْبِدَايَةِ تَقَبَّلَهَا الْجَدُّ ضفدع بِصَدْرٍ رَحْبٍ، وَلَكِنْ بَعْدَ فَتْرَةٍ بَدَأَ يَشْعُرُ بِالضِّيقِ، وَحِينَ وَصَلَ قَرِيبُهُ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ، كَانَ الْجَدُّ ضفدع مُسْتَاءً وَاكْتَفَى بِإِصْدَارِ صَوْتٍ خَفِيضٍ فِي حَلْقِهِ عِنْدَمَا أَخْبَرَهُ الْعُلْجُومُ بِسَعَادَتِهِ لِتَمَاثُلِهِ لِلشِّفَاءِ.

تَظَاهَرَ الْعُلْجُومُ بِأَنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ مَدَى انْزِعَاجِ الْجَدِّ ضفدع وَوَاصَلَ حَدِيثَهُ.

فَقَالَ: «لَوْ كُنْتَ عِشْتَ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ بِقَدْرِ مَا فَعَلْتُ أَنَا، لَكُنْتَ أَدْرَكْتَ أَنَّ ثَعْلَبَ الْمَاءِ الصَّغِيرَ جو لَمْ يَكُنْ لِيُعْطِيَكَ هَذِهِ السَّمَكَةَ دُونَ سَبَبٍ.»

اسْتَشَاطَ الْجَدُّ ضفدع غَضَبًا عَلَى الْفَوْرِ، وَهَتَفَ بِصَوْتٍ عَمِيقٍ خَشِنٍ: «نَقْ نَقْ! نَقْ نَقْ! عُدْ إِلَى عَالَمِكَ الْكَبِيرِ وَتَعَلَّمْ أَلَّا تَتَدَخَّلَ فِي شُئُونِ الْآخَرِينَ أَيُّهَا الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ.»

وَفِي الْحَالِ اسْتَشَاطَ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ غَضَبًا هُوَ الْآخَرُ، وَرَاحَ يُحَدِّقُ فِي الْجَدِّ ضفدع بِحَنَقٍ، وَقَدْ عَقَدَ الْغَضَبُ لِسَانَهُ، وَعِنْدَمَا اسْتَطَاعَ النُّطْقَ، قَالَ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ الْبَغِيضَةِ، وَعَلَى الْفَوْرِ بَدَأَ فِي الشِّجَارِ.

فَسَأَلَهُ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ: «مَنْ تُفِيدُ أَنْتَ غَيْرَ نَفْسِكَ، إِذْ لَمْ تَرَ شَيْئًا مِنَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ وَلَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَمَّا يَحْدُثُ حَوْلَكَ أَوْ عَمَّا يَفْعَلُهُ الْآخَرُونَ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ الْجَدُّ ضفدع بِحِدَّةٍ قَائِلًا: «إِنَّنِي أَهْتَمُّ بِشُئُونِي الْخَاصَّةِ وَلَا أَتَدَخَّلُ فِيمَا لَا يَعْنِينِي، عَلَى عَكْسِ مَا يَبْدُو فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَحْلُو لَكَ كَثِيرًا الْحَدِيثُ عَنْهُ. الْحُكَمَاءُ مِنَ النَّاسِ لَدَيْهِمْ مِنَ الْخِبْرَةِ مَا يَجْعَلُهُمْ رَاضِينَ بِمَا لَدَيْهِمْ. أَنْتَ خَرَجْتَ لِلْعَالَمِ

الْكَبِيرِ مُنْذُ أَنِ اسْتَطَعْتَ الْقَفْزَ، فَبِمَ أَفَادَكَ هَذَا؟ أَخْبِرْنِي! لَيْسَ لَدَيْكَ حَتَّى زِيٌّ لَائِقٌ عَلَى ظَهْرِكَ.» رَبَّتَ الْجَدُّ ضفدع عَلَى مِعْطَفِهِ ذِي اللَّوْنَيْنِ الْأَصْفَرِ وَالْأَبْيَضِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ، وَنَظَرَ بِإِعْجَابٍ إِلَى انْعِكَاسِ صُورَةِ جِلْدِهِ الْأَخْضَرِ الْجَمِيلِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ.

بَرَقَتْ عَيْنَا الْعُلْجُومِ الْعَجُوزِ غَضَبًا؛ فَكَمَا تَعْلَمُونَ، مَلَابِسُهُ عَادِيَّةٌ جِدًّا وَخَشِنَةٌ.

وَرَدَّ قَائِلًا: «إِنَّ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا شَرِيفًا لِكَسْبِ عَيْشِهِ لَا وَقْتَ لَدَيْهِ يُضَيِّعُهُ فِي الْجُلُوسِ مُتَأَنِّقًا مَزْهُوًّا بِنَفْسِهِ. لَقَدْ تَعَلَّمْتُ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ أَنَّ الْكُسَالَى لَا يُفْلِحُونَ، وَأَنَا لَدَيَّ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا يَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَخْتَنِقَ حَتَّى الْمَوْتِ.»

كَادَ الْجَدُّ ضفدع يَخْتَنِقُ مُجَدَّدًا مِنْ فَرْطِ غَضَبِهِ؛ فَقَدْ كَانَتْ مُلَاحَظَاتُ الْعُلْجُومِ الْعَجُوزِ تَمَسُّ وَتَرًا حَسَّاسًا لِلْغَايَةِ، وَلَا أَحَدَ يُحِبُّ مِثْلَ تِلْكَ الْمُلَاحَظَاتِ عِنْدَمَا تَكُونُ غَيْرَ لَطِيفَةٍ، خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ صَحِيحَةً. بَذَلَ الْجَدُّ ضفدع قُصَارَى جُهْدِهِ فِي التَّفْكِيرِ فِي رَدٍّ لَاذِعٍ، حِينَ صَاحَ الطَّائِرُ أحمر الجناح الَّذِي كَانَ قَابِعًا عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةِ الْجَوْزِ الْكَبِيرَةِ: «هَا قَدْ أَتَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون!»

نَسِيَ الْجَدُّ ضفدع غَضَبَهُ وَبَدَا عَلَيْهِ الْقَلَقُ، وَاضْطَرَبَ فِي جِلْسَتِهِ عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ وَاسْتَعَدَّ لِلْغَوْصِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، فَقَدْ كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ جَيْبُ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون مَمْلُوءًا بِالْأَحْجَارِ كَمَا يَكُونُ عَادَةً عِنْدَمَا يَأْتِي إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ.

لَمْ يَبْدُ عَلَى الْعُلْجُومِ الْعَجُوزِ أَيُّ اضْطِرَابٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ حَوْلَهُ حَتَّى بَحْثًا عَنْ مَكَانٍ لِلِاخْتِبَاءِ، فَقَطْ جَلَسَ سَاكِنًا وَارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ.

صَاحَ الْجَدُّ ضفدع: «جَدِيرٌ بِكَ أَنْ تَأْخُذَ حِذْرَكَ، وَإِلَّا فَلَنْ تَزُورَ الْبِرْكَةَ الْبَاسِمَةَ مَرَّةً أُخْرَى.»

رَدَّ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ قَائِلًا: «آهْ، لَسْتُ خَائِفًا، فَابْنُ الْمُزَارِعِ براون صَدِيقِي، وَأَنَا أُسَاعِدُهُ فِي حَدِيقَتِهِ، وَإِنَّ تَكْوِينَ الصَّدَاقَاتِ أَحَدُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَعَلَّمْتُهَا فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ.»

قَالَ الْجَدُّ ضفدع: «نَقْ نَقْ! أُرِيدُكَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ...»

لَكِنَّ الْعُلْجُومَ الْعَجُوزَ لَمْ يَعْرِفْ قَطُّ مَا أَرَادَهُ أَنْ يَعْرِفَهُ؛ لِأَنَّهُ حِينَذَاكَ وَقَعَ بَصَرُ الْجَدِّ ضفدع عَلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، فَغَطَسَ فِي الْبِرْكَةِ دُونَ أَنْ يَنْتَظِرَ حَتَّى لِيُوَدِّعَهُ.

الفصل العاشر

الْجَدُّ ضفدع يَخْرُجُ لِرُؤْيَةِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ

بَدَا عَلَى الْجَدِّ ضفدع الْوُجُومُ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، وَبَدَا كَأَنَّ شَيْئًا مَا يَشْغَلُ تَفْكِيرَهُ، بَلْ إِنَّ ذُبَابَةً خَضْرَاءَ حَمْقَاءَ لَامَسَتْ أَنْفَ الْجَدِّ ضفدع بِالْفِعْلِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْحَظْهَا مِنَ الأَسَاسِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ بِالْفِعْلِ مَا يَشْغَلُ تَفْكِيرَهُ. كَانَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مُنْذُ زَارَهُ قَرِيبُهُ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ وَتَجَادَلَا كَالْمُعْتَادِ حَوْلَ مَسْأَلَةِ إِنْ كَانَ الأَفْضَلَ عَدَمُ مُغَادَرَةِ الْوَطَنِ أَبَدًا أَمِ الْخُرُوجُ إِلَى الْعَالَمِ الْكَبِيرِ.

وَبَيْنَمَا كَانَا مُنْخَرِطَيْنِ فِي الْجِدَالِ جَاءَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَالْجَدُّ ضفدع يَخَافُهُ؛ لِذَلِكَ عِنْدَمَا ظَهَرَ تَوَقَّفَ الْجَدُّ ضفدع عَنِ الْجِدَالِ مَعَ الْعُلْجُومِ الْعَجُوزِ وَقَفَزَ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ مُثِيرًا رَذَاذًا كَثِيرًا وَاخْتَبَأَ أَسْفَلَ وَرَقَةٍ مِنْ أَوْرَاقِ الزَّنْبَقِ. وَهُنَاكَ مَكَثَ يُرَاقِبُ قَرِيبَهُ الْعُلْجُومَ الْعَجُوزَ وَهُوَ يَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً شَدِيدَةَ الِاسْتِفْزَازِ؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ خَائِفًا مِنَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، بَلْ إِنَّهُ تَفَاخَرَ بِكَوْنِهِمَا صَدِيقَيْنِ. اعْتَقَدَ الْجَدُّ ضفدع أَنَّ هَذَا مُجَرَّدُ تَفَاخُرٍ لَا أَسَاسَ لَهُ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا رَأَى ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يُدَاعِبُ الْعُلْجُومَ الْعَجُوزَ أَسْفَلَ ذَقَنِهِ بِقَشَّةٍ، بَيْنَمَا جَلَسَ الْعُلْجُومُ ثَابِتًا تَمَامًا وَقَدْ بَدَا عَلَيْهِ الِاسْتِمْتَاعُ، عَرَفَ أَنَّهُ كَانَ صَادِقًا فِي تَفَاخُرِهِ.

لَمْ يَخْرُجِ الْجَدُّ ضفدع مِنْ مَخْبَئِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ عَادَ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ أَدْرَاجَهُ مُجْتَازًا الْمُرُوجَ الْخَضْرَاءَ، وَذَهَبَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى بَيْتِهِ لِتَنَاوُلِ الْعَشَاءِ. حِينَهَا عَادَ الْجَدُّ ضفدع يَتَسَلَّقُ وَرَقَةَ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءَ الْكَبِيرَةَ، وَجَلَسَ عَلَيْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ دُونَ أَنْ يَقُودَ

فِرْقَةَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ الْمُوسِيقِيَّةَ وَلَوْ مَرَّةً بِصَوْتِهِ الْجَهِيرِ الْعَمِيقِ كَمَا يَفْعَلُ عَادَةً؛ فَقَدْ كَانَ غَارِقًا فِي أَفْكَارِهِ. وَعِنْدَمَا أَشْرَقَ الصَّبَاحُ الْمُشْمِسُ الزَّاهِي، كَانَ لَا يَزَالُ يُفَكِّرُ.

الْحَقِيقَةُ أَنَّ الْجَدَّ ضفدع كَانَ قَدْ بَدَأَ يَتَسَاءَلُ عَنِ احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الْعُلْجُومُ مُحِقًّا فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ؛ فَإِذَا كَانَ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ قَدْ عَلَّمَهُ كَيْفَ يُصْبِحُ صَدِيقًا لِابْنِ الْمُزَارِعِ براون، فَلَا بُدَّ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ الْجَدِيدَةِ بِتَعَلُّمِهَا هُنَاكَ فِعْلًا. وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع لَمْ يَكُنْ لِيَعْتَرِفَ أَبَدًا لِلْعُلْجُومِ الْعَجُوزِ أَوْ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ أَنَّهُ ثَمَّةَ مَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ؛ فَهُوَ كَمَا تَعْلَمُونَ عَجُوزٌ جِدًّا وَيَعْتَبِرُهُ أَصْدِقَاؤُهُ حَكِيمًا جِدًّا، وَلَكِنَّهُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ بَدَأَ يُفَكِّرُ فِي أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ ثَمَّةَ أَشْيَاءُ لَنْ يَسْتَطِيعَ تَعَلُّمَهَا فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ؛ لِذَلِكَ جَلَسَ يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ، وَفَجْأَةً اتَّخَذَ قَرَارَهُ.

فَقَالَ: «نَقْ نَقْ! سَوْفَ أَفْعَلُهَا!»

سَأَلَهُ فَأْرُ الْمِسْكِ جيري الَّذِي كَانَ سَابِحًا بِجِوَارِهِ بِالصُّدْفَةِ: «مَا الَّتِي سَوْفَ تَفْعَلُهَا؟»

أَجَابَهُ الْجَدُّ ضفدع قَائِلًا: «سَأَذْهَبُ وَأَرَى بِنَفْسِي كَيْفَ يَبْدُو ذَلِكَ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ الَّذِي يَطِيبُ لِقَرِيبِيَ الْعُلْجُومِ الْعَجُوزِ الْحَدِيثُ عَنْهُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ.»

رَدَّ فَأْرُ الْمِسْكِ جيري قَائِلًا: «إِيَّاكَ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ، إِيَّاكَ وَتِلْكَ الْحَمَاقَةَ. أَنْتَ عَجُوزٌ جِدًّا أَيُّهَا الْجَدُّ ضفدع، وَسِنُّكَ تَمْنَعُكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَى الْعَالَمِ الْكَبِيرِ.»

نَادِرًا مَا يَقْبَلُ كِبَارُ السِّنِّ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ إِنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوا مَا يُرِيدُونَ، وَلَا يَخْتَلِفُ الْجَدُّ ضفدع فِي ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ؛ فَرَدَّ بِحِدَّةٍ قَائِلًا: «اهْتَمَّ بِشُئُونِكَ الْخَاصَّةِ يَا فَأْرَ الْمِسْكِ جيري، أَظُنُّنِي أَعْرِفُ مَصْلَحَتِي دُونَ أَنْ يُخْبِرَنِي أَحَدٌ. وَإِذَا كَانَ قَرِيبِيَ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ يَسْتَطِيعُ الِاعْتِنَاءَ بِنَفْسِهِ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، فَأَنَا أَسْتَطِيعُ؛ فَهُوَ لَا يَمْلِكُ نِصْفَ رَشَاقَتِي. أَنَا ذَاهِبٌ، وَهَذَا كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ.»

ثُمَّ غَطَسَ الْجَدُّ ضفدع فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، وَعَبَرَهَا إِلَى حَيْثُ كَانَتِ الضِّفَّةُ مُنْخَفِضَةً، وَدُونَ أَنْ يَنْظُرَ خَلْفَهُ وَلَوْ مَرَّةً بَدَأَ رِحْلَتَهُ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ لِرُؤْيَةِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ.

الفصل الحادي عشر

عِنَادُ الْجَدِّ ضفدع

فِيي، فَاي، فِي، فَمْ!
نَقْ، نَقْ، نَقْ نَقْ!

كَانَ الْجَدُّ ضفدع قَدْ بَدَأَ بِالْفِعْلِ رِحْلَتَهُ لِاسْتِكْشَافِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ. نَعَمْ، لَقَدْ أَدَارَ ظَهْرَهُ لِلْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَهُ فَأْرُ الْمِسْكِ جيري لِيُزَحْزِحَهُ عَنْ قَرَارِهِ؛ فَقَدِ اتَّخَذَ الْجَدُّ ضفدع قَرَارَهُ، وَهُوَ عِنْدَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ، يَكُونُ مَضْيَعَةً لِلْوَقْتِ وَالْجُهْدِ أَنْ يُحَاوِلَ أَيُّ كَائِنٍ إِقْنَاعَهُ بِالْعُدُولِ عَنْهُ؛ فَالْجَدُّ ضفدع عَنِيدٌ. نَعَمْ، هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَةُ الْمُنَاسِبَةُ تَمَامًا ... عَنِيدٌ. كَانَ قَدْ قَرَّرَ أَنْ يَرَى بِنَفْسِهِ كَيْفَ يَبْدُو ذَلِكَ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ الَّذِي تَحَدَّثَ قَرِيبُهُ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ عَنْهُ كَثِيرًا وَقَالَ إِنَّهُ أَفْضَلُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ حَيْثُ قَضَى الْجَدُّ ضفدع حَيَاتَهُ كُلَّهَا.

«إِذَا كَانَ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ يَسْتَطِيعُ الِاعْتِنَاءَ بِنَفْسِهِ، فَأَنَا أَسْتَطِيعُ الِاعْتِنَاءَ بِنَفْسِي فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ.» قَالَهَا الْجَدُّ ضفدع لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَبْدَأُ رِحْلَتَهُ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بِقَفَزَاتٍ كَبِيرَةٍ، وَأَرْدَفَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ أَكْثَرَ ذَكَاءً مِنِّي! وَهُوَ لَا يَمْلِكُ نِصْفَ رَشَاقَتِي، كَمَا أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْفِزَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالِ الْمَسَافَةِ الَّتِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْفِزَهَا. سَأَرَى بِنَفْسِي ذَلِكَ الْعَالَمَ الْكَبِيرَ، ثُمَّ أَعُودُ بَعْدَهَا إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ وَأَظَلُّ هُنَاكَ بَقِيَّةَ حَيَاتِي. نَقْ نَقْ، مَا أَشَدَّ الْحَرَّ!»

كَانَ الْجَوُّ حَارًّا؛ فَقَدْ كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ يُطِلُّ بِأَوْسَعِ ابْتِسَامَاتِهِ، وَيَصُبُّ أَدْفَأَ أَشِعَّتِهِ إِلَى أَسْفَلَ عَلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَكَانَتِ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ بَنَاتُ الرِّيَاحِ الْغَرْبِيَّةِ الْعَجُوزِ غَافِيَةً؛ فَقَدْ لَعِبَتْ كَثِيرًا فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ حَتَّى

أَصَابَهَا التَّعَبُ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَحَدٌ أَوْ شَيْءٌ يُبَرِّدُ جَسَدَ الْجَدِّ ضفدع، وَأَخَذَ شُعُورُهُ بِالْحَرِّ يَزْدَادُ مَعَ كُلِّ قَفْزَةٍ. ثُمَّ بَدَأَ يَشْعُرُ بِالْعَطَشِ، وَكَمْ كَانَ يَشْتَاقُ لِلْغَطْسِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ الْبَارِدَةِ الْعَزِيزَةِ! وَلَكِنَّهُ كَانَ عَنِيدًا؛ كَانَ يَرْفُضُ أَنْ يَعُودَ أَدْرَاجَهُ، مَهْمَا كَانَتْ دَرَجَةُ انْزِعَاجِهِ، وَكَانَ «مُصِرًّا» عَلَى اسْتِكْشَافِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَيْءٍ يَفْعَلُهُ فِي حَيَاتِهِ. وَهَكَذَا وَاصَلَ تَقَدُّمَهُ إِلَى الْأَمَامِ، فَرَاحَ يَقْفِزُ وَيَقْفِزُ وَيَقْفِزُ.

كَانَ الْجَدُّ ضفدع قَدْ جَابَ الْجَدْوَلَ الضَّاحِكَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ مِنْ قَبْلُ، حَيْثُ يَسْتَطِيعُ السِّبَاحَةَ حِينَ يَشْعُرُ بِالتَّعَبِ مِنْ رِحْلَتِهِ عَلَى الضِّفَّةِ، وَحَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُرَطِّبَ جَسَدَهُ عِنْدَمَا يَشْعُرُ بِالْحَرِّ الشَّدِيدِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْتَعِدْ عَنِ الْمَاءِ مِثْلَ هَذِهِ الْمَسَافَةِ الْكَبِيرَةِ قَبْلَ ذَلِكَ قَطُّ، وَلَقَدْ وَجَدَ ذَلِكَ أَمْرًا مُخْتَلِفًا تَمَامًا. فِي بَادِئِ الْأَمْرِ كَانَ يَقْفِزُ قَفَزَاتٍ كَبِيرَةً، فَهَذَا مَا خُلِقَتْ سَاقَاهُ الطَّوِيلَتَانِ مِنْ أَجْلِهِ؛ وَلَكِنَّ الْعُشْبَ الطَّوِيلَ ضَايَقَهُ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ صَارَتْ قَفَزَاتُهُ أَقْصَرَ فَأَقْصَرَ، وَمَعَ كُلِّ قَفْزَةٍ أَخَذَ يَلْهَثُ وَيَلْهَثُ وَسُرْعَانَ مَا بَدَأَ يَنْخُرُ بِأَنْفِهِ؛ فَهُوَ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ قَفَزَ أَكْثَرَ مِنْ بِضْعِ قَفَزَاتٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ رَاحَةً، فَبَدَأَتْ سَاقَاهُ تَتْعَبَانِ بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ جِدًّا.

إِذَا كَانَ الْجَدُّ ضفدع يَعْرِفُ الْمُرُوجَ الْخَضْرَاءَ بِقَدْرِ مَا تَعْرِفُهَا الْكَائِنَاتُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي تَعِيشُ هُنَاكَ، كَانَ سَيَسْلُكُ الطَّرِيقَ الصَّغِيرَ الْمُنْعَزِلَ، حَيْثُ يَسْهُلُ السَّيْرُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهَا؛ فَقَدْ مَضَى فِي طَرِيقِهِ فَوْرًا عَلَى غَيْرِ هُدًى، وَبِالطَّبْعِ كَانَ الطَّرِيقُ وَعْرًا، بَلْ شَدِيدَ الْوُعُورَةِ. كَانَ الْعُشْبُ طَوِيلًا جِدًّا بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعِ الرُّؤْيَةَ مِنْ فَوْقِهِ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ شَدِيدَةَ الْخُشُونَةِ حَتَّى إِنَّهَا جَرَحَتْ قَدَمَيْهِ الْغَضَّتَيْنِ، اللَّتَيْنِ كَانَتَا مُعْتَادَتَيْنِ عَلَى ضِفَّةِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ النَّاعِمَةِ الْمُغَطَّاةِ بِالطَّحَالِبِ. لَمْ يَكُنْ قَدْ قَطَعَ مَسَافَةً طَوِيلَةً قَبْلَ أَنْ يَتَمَنَّى مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ فِي رُؤْيَةِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ قَالَ إِنَّهُ سَيَذْهَبُ، وَسَوْفَ يَذْهَبُ؛ لِذَلِكَ وَاصَلَ سَيْرَهُ؛ فَرَاحَ يَقْفِزُ وَيَقْفِزُ، ثُمَّ يَسْتَرِيحُ، وَيَقْفِزُ وَيَقْفِزُ وَيَقْفِزُ، ثُمَّ يَسْتَرِيحُ، وَيَقْفِزُ، ثُمَّ يَأْخُذُ قِسْطًا طَوِيلًا مِنَ الرَّاحَةِ.

فِي إِحْدَى هَذِهِ الِاسْتِرَاحَاتِ سَمِعَ وَقْعَ أَقْدَامٍ، ثُمَّ سَمِعَ صَوْتًا مُرْعِبًا جَعَلَ قُشَعْرِيرَةً بَارِدَةً تَسْرِي فِي جَسَدِهِ كُلِّهِ. تَشَمَّمَ، تَشَمَّمَ، تَشَمَّمَ! كَانَ الصَّوْتُ يَقْتَرِبُ. أَلْصَقَ الْجَدُّ ضفدع جِسْمَهُ بِالْأَرْضِ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ، وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ بِلَا جَدْوَى، بِلَا أَدْنَى جَدْوَى. رَاحَ الصَّوْتُ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، ثُمَّ وَقَفَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر فَوْقَهُ تَمَامًا! بَدَا باوزر مُتَفَاجِئًا

تَمَامًا مِثْلَ الْجَدِّ ضفدع، ثُمَّ مَدَّ إِحْدَى كَفَّيْهِ لِلْأَمَامِ وَقَلَبَ الْجَدَّ ضفدع عَلَى ظَهْرِهِ. نَهَضَ الْجَدُّ ضفدع بِصُعُوبَةٍ وَقَفَزَ قَفْزَتَيْنِ مَذْعُورًا.

صَاحَ باوزر: «هَاوْ هَاوْ!» ثُمَّ قَلَبَهُ عَلَى ظَهْرِهِ مَرَّةً أُخْرَى. ظَنَّ باوزر أَنَّ ذَلِكَ مُمْتِعٌ جِدًّا، لَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع ظَنَّ أَنَّ ذَاكَ آخِرُ يَوْمٍ فِي حَيَاتِهِ.

الفصل الثاني عشر

الْجَدُّ ضفدع يُكْمِلُ رِحْلَتَهُ

عَجُوزٌ حَكِيمٌ الْجَدُّ ضفدع،
وَلَكِنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ سِنِّهِ أَحْمَقُ.
وَسَنَتَّفِقُ بِلَا شَكٍّ،
أَنَّ عِنَادَهُ بِلَا حَدٍّ.

كَانَ الْجَدُّ ضفدع وَاثِقًا أَنَّ ذَلِكَ آخِرُ يَوْمٍ فِي حَيَاتِهِ، لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى شَكٍّ فِي ذَلِكَ؛ فَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَانَ تَحْتَ رَحْمَةِ كَلْبِ الصَّيْدِ باوزر هُنَاكَ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بَعِيدًا عَنِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ الْعَزِيزَةِ الْآمِنَةِ. وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ الْجَدُّ ضفدع، قَلَبَهُ باوزر عَلَى ظَهْرِهِ وَرَاحَ يَتَقَافَزُ حَوْلَهُ، نَابِحًا بِسَعَادَةٍ. وَفِي كُلِّ دَقِيقَةٍ كَانَ الْجَدُّ ضفدع يَتَوَقَّعُ أَنْ يَشْعُرَ بِأَسْنَانِ باوزر الرَّهِيبَةِ، فَتُصِيبُهُ تِلْكَ الْفِكْرَةُ بِالْفَزَعِ، وَعِنْدَمَا أَدْرَكَ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْهَرَبَ، تَسَمَّرَ فِي مَكَانِهِ؛ فَقَدْ كَانَتْ شِدَّةُ خَوْفِهِ وَتَعَبِهِ تَمْنَعُهُ مِنْ فِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ عَلَى أَيِّ حَالٍ.

وَعِنْدَمَا تَسَمَّرَ فِي مَكَانِهِ، أَفْسَدَ مُتْعَةَ باوزر، فَرُؤْيَتُهُ وَهُوَ يَقْفِزُ وَيَرْكُلُ بِأَرْجُلِهِ الطَّوِيلَةِ كَانَتْ هِيَ مَا أَمْتَعَ باوزر كَثِيرًا. قَذَفَهُ باوزر فِي الْهَوَاءِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع كَانَ يَسْتَلْقِي حَيْثُ يَقَعُ بِلَا حَرَاكٍ.

هَتَفَ باوزر بِصَوْتِهِ الْعَمِيقِ الْجَهُورِ: «هَاوْ هَاوْ هَاوْ!» وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع لَمْ يَطْرِفْ حَتَّى بِعَيْنَيْهِ الْكَبِيرَتَيْنِ الْجَاحِظَتَيْنِ، فَتَشَمَّمَ باوزر جَسَدَهُ كُلَّهُ.

قَالَ باوزر مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: «أَظُنُّنِي أَخَفْتُهُ حَتَّى الْمَوْتِ. أَنَا لَمْ أَقْصِدْ ذَلِكَ، لَمْ أُرِدْ سِوَى أَنْ أَلْهُوَ مَعَهُ قَلِيلًا.» وَبَعْدَ ذَلِكَ، تَشَمَّمَهُ باوزر مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ هَرْوَلَ مُبْتَعِدًا لِيُحَاوِلَ إِيجَادَ شَيْءٍ آخَرَ أَكْثَرَ إِمْتَاعًا؛ فَهُوَ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ أَيُّ نِيَّةٍ لِإِيذَاءِ الْجَدِّ ضفدع فِعْلًا.

ظَلَّ الْجَدُّ ضفدع سَاكِنًا تَمَامًا حَتَّى تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ باوزر لَمْ يَعُدْ فِي الْجِوَارِ، ثُمَّ تَنَهَّدَ تَنْهِيدَةَ ارْتِيَاحٍ عَظِيمَةً وَزَحَفَ أَسْفَلَ وَرَقَةٍ كَبِيرَةٍ لِنَبَاتِ آذَانِ الدُّبِّ لِيَسْتَرِيحَ وَيُفَكِّرَ فِي الْأَمْرِ.

«نَقْ نَقْ، كَانَتْ هَذِهِ تَجْرِبَةً رَهِيبَةً وَلَا شَكَّ!» قَالَهَا الْجَدُّ ضفدع لِنَفْسِهِ، وَهُوَ يَرْتَعِشُ كُلَّمَا تَذَكَّرَ مَا مَرَّ بِهِ، وَتَابَعَ حَدِيثَهُ مَعَ نَفْسِهِ قَائِلًا: «لَمْ يَحْدُثْ لِي شَيْءٌ كَهَذَا قَطُّ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، لَقَدْ كُنْتُ دَائِمًا أَقُولُ إِنَّ الْبِرْكَةَ الْبَاسِمَةَ مَكَانٌ أَفْضَلُ لِلْعَيْشِ مِنَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، وَالْآنَ لَقَدْ تَأَكَّدْتُ مِنْ ذَلِكَ. وَالسُّؤَالُ هُوَ: مَا الَّذِي يَجْدُرُ بِي أَنْ أَفْعَلَهُ الْآنَ؟»

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ كَانَ الْجَدُّ ضفدع يَعْرِفُ إِجَابَةَ ذَلِكَ السُّؤَالِ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ، بِالطَّبْعِ كَانَ أَفْضَلُ شَيْءٍ يَفْعَلُهُ هُوَ أَنْ يَعُودَ مُبَاشَرَةً إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُهُ. وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع عَنِيدٌ. نَعَمْ، هُوَ عَنِيدٌ بِالتَّأْكِيدِ، وَالْعِنَادُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لَيْسَ إِلَّا الْوَجْهَ الْآخَرَ لِلْحَمَاقَةِ. كَانَ قَدْ أَخْبَرَ فَأْرَ الْمِسْكِ جيري أَنَّهُ ذَاهِبٌ لِيَرَى الْعَالَمَ الْكَبِيرَ، وَالْآنَ إِذَا رَجَعَ، فَسَيَسْخَرُ مِنْهُ جيري.

قَالَ الْجَدُّ ضفدع: «لَنْ أَفْعَلَ!»

«لَنْ تَفْعَلَ مَاذَا؟» هَكَذَا سَأَلَ صَوْتٌ قَرِيبٌ جِدًّا مِنْهُ حَتَّى إِنَّهُ قَفَزَ قَفْزَةً طَوِيلَةً قَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ. فَفِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ كَانَ دَائِمًا يَقْفِزُ مَعَ أَوَّلِ شُعُورٍ بِالْخَطَرِ، وَلِأَنَّ قَفْزَةً وَاحِدَةً كَانَتْ دَائِمًا تَحْمِلُهُ إِلَى الْمَاءِ، فَقَدْ كَانَ آمِنًا دَائِمًا. لَكِنْ هُنَا لَا يُوجَدُ مَاءٌ، وَتِلْكَ الْقَفْزَةُ أَخَذَتْهُ إِلَى مَكَانٍ مَكْشُوفٍ حَيْثُ يُمْكِنُ لِأَيِّ مَارٍّ أَنْ يَرَاهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ لِيَرَى مَنِ الَّذِي أَفْزَعَهُ هَكَذَا. كَانَ فَأْرَ الْمُرُوجِ داني.

رَدَّ عَلَيْهِ الْجَدُّ ضفدع بِخُشُونَةٍ قَائِلًا: «لَنْ أَعُودَ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ حَتَّى أَرَى الْعَالَمَ الْكَبِيرَ.»

قَالَ لَهُ داني، هَازًّا رَأْسَهُ: «لَنْ تَرَى الْكَثِيرَ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ إِذَا قَفَزْتَ هَكَذَا كُلَّمَا خِفْتَ. نَعَمْ، لَنْ تَرَى الْكَثِيرَ؛ لِأَنَّ إِحْدَى تِلْكَ الْقَفَزَاتِ سَتَقْذِفُكَ مُبَاشَرَةً بَيْنَ مَخَالِبِ الصَّقْرِ أبيض الذيل الْعَجُوزِ، أَوْ قَرِيبِهِ أحمر الذيل أَوِ الثَّعْلَبِ ريدي. خُذْ بِنَصِيحَتِي أَيُّهَا الْجَدُّ

ضفدع وَعُدْ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ دُونَ إِبْطَاءٍ؛ أَنْتَ لَا تَعْرِفُ عَنِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ مَا يَكْفِي لِتَعْتَنِيَ بِنَفْسِكَ.»

وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع كَانَ مُصِرًّا، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَيْءٌ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَهُ فَأْرُ الْمُرُوجِ داني لِيُغَيِّرَ رَأْيَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَقَدْ قَالَ الْجَدُّ ضفدع: «لَقَدْ بَدَأْتُ رِحْلَتِي لِرُؤْيَةِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، وَسَأَمْضِي فِي طَرِيقِي.»

فَقَالَ داني فِي النِّهَايَةِ: «حَسَنًا، إِذَا كَانَ ذَلِكَ قَرَارَكَ فَلَا أَظُنُّكَ تَرْجِعُ فِيهِ. سَأَمْضِي مَعَكَ قَلِيلًا حَتَّى أَضَعَكَ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ.»

رَدَّ عَلَيْهِ الْجَدُّ ضفدع قَائِلًا: «شُكْرًا لَكَ. هَيَّا، لِنَتَحَرَّكْ فِي الْحَالِ.»

الفصل الثالث عشر

فَأْرُ الْمُرُوجِ داني يَشْعُرُ بِالْمَسْئُولِيَّةِ

الْمَسْئُولِيَّةُ كَلِمَةٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا، وَهِيَ كَبِيرَةٌ فِي مَعْنَاهَا تَمَامًا مِثْلَمَا هِيَ كَبِيرَةٌ فِي شَكْلِهَا، وَهَذَا مَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ الْكَلِمَاتُ فِي رَأْيِي، أَلَا تُوَافِقُونَنِي؟ عَلَى أَيِّ حَالٍ، الْمَسْئُولِيَّةُ هِيَ الْإِحْسَاسُ الَّذِي شَعَرَ بِهِ فَأْرُ الْمُرُوجِ داني عِنْدَمَا وَجَدَ الْجَدَّ ضفدع خَارِجًا فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بَعِيدًا جِدًّا عَنِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، وَمُصِرًّا فِي عِنَادٍ عَلَى أَنْ يَمْضِيَ فِي طَرِيقِهِ لِيَرَى الْعَالَمَ الْكَبِيرَ بَدَلًا مِنَ الْعَوْدَةِ إِلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، حَيْثُ يُمْكِنُهُ الِاعْتِنَاءُ بِنَفْسِهِ. تَذْكُرُونَ أَنَّ الْأَرْنَبَ بيتر شَعَرَ بِالْمَسْئُولِيَّةِ عِنْدَمَا نَزَلَ بِالْأَرْنَبَةِ الصَّغِيرَةِ جعداء الذيل مِنَ الْمَرْعَى الْقَدِيمِ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؛ فَقَدْ شَعَرَ أَنَّ مِنْ وَاجِبِهِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى أَلَّا يُصِيبَهَا أَيُّ مَكْرُوهٍ، وَذَلِكَ بِالضَّبْطِ مَا شَعَرَ بِهِ فَأْرُ الْمُرُوجِ داني تِجَاهَ الْجَدِّ ضفدع.

فَقَدْ عَرَفَ داني أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْجَدُّ ضفدع سَيَقْفِزُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ كُلَّمَا خَافَ، فَهُوَ لَنْ يَصْمُدَ طَوِيلًا فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ. رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ التَّصَرُّفَ الصَّائِبَ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ — حَيْثُ تُخْفِيهِ الْمِيَاهُ الصَّدِيقَةُ مِنْ أَعْدَائِهِ — وَلَكِنَّهُ كَانَ تَصَرُّفًا خَاطِئًا تَمَامًا فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ أَوْ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَداني كَانَ قَدْ تَعَلَّمَ مُنْذُ صِغَرِهِ أَنَّهُ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِنِ الشَّيْءُ الْآمِنُ الْوَحِيدُ الَّذِي يُمْكِنُكَ فِعْلُهُ عِنْدَمَا يَقْتَرِبُ الْخَطَرُ هُوَ أَنْ تَظَلَّ ثَابِتًا تَمَامًا وَلَا تَتَنَفَّسَ تَقْرِيبًا.

وَقَدْ كَانَ فَأْرُ الْمُرُوجِ داني مُعْجَبًا بِالْجَدِّ ضفدع، وَلَمْ يَحْتَمِلِ التَّفْكِيرَ فِي أَنْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ؛ لِذَلِكَ عِنْدَمَا وَجَدَ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ إِقْنَاعَ الْجَدِّ ضفدع بِالْعَوْدَةِ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، قَرَّرَ أَنَّهُ «لَا بُدَّ» لَهُ مِنْ مُصَاحَبَةِ الْجَدِّ ضفدع لِيُحَاوِلَ إِبْعَادَهُ عَنِ الْخَطَرِ. نَعَمْ، كَانَ «لَا بُدَّ» لَهُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَدْ شَعَرَ بِالْمَسْئُولِيَّةِ عَنْ سَلَامَةِ الْجَدِّ ضفدع. وَهَكَذَا مَضَيَا، وَفَأْرُ الْمُرُوجِ داني يَجْرِي فِي الْمُقَدِّمَةِ، شَاعِرًا بِالتَّوَتُّرِ وَالْقَلَقِ، وَمُتَرَقِّبًا بِانْتِبَاهٍ أَيَّ عَلَامَاتٍ لِلْخَطَرِ، بَيْنَمَا الْجَدُّ ضفدع يَلْهَثُ خَلْفَهُ، مُصِرًّا عَلَى رُؤْيَةِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، الَّذِي قَالَ عَنْهُ قَرِيبُهُ الْعُلْجُومُ الْعَجُوزُ إِنَّهُ مَكَانٌ أَفْضَلُ لِلْعَيْشِ مِنَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ.

وَإِنَّ لِداني عَدَدًا هَائِلًا مِنَ الْمَمَرَّاتِ الصَّغِيرَةِ السِّرِّيَّةِ تَحْتَ الْعُشْبِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْدُوَ مِنْهَا بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ دُونَ أَنْ يُظْهِرَ نَفْسَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً لِمَنْ قَدْ يَتَرَبَّصُ بِهِ. وَطَبْعًا بَدَأَ يَقُودُ الْجَدَّ ضفدع إِلَى أَحَدِ هَذِهِ الْمَمَرَّاتِ الصَّغِيرَةِ. وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع لَا يَمْشِي وَلَا يَجْرِي؛ وَإِنَّمَا يَقْفِزُ، وَلَمْ تَكُنْ مَمَرَّاتُ داني الصَّغِيرَةُ تَتَّسِعُ لِلْقَفْزِ، وَهُوَ مَا اكْتَشَفَاهُ بَعْدَ قَلِيلٍ. لَمْ يَسْتَطِعِ الْجَدُّ ضفدع أَنْ يَتْبَعَ داني فِي هَذِهِ الْمَمَرَّاتِ الصَّغِيرَةِ. جَلَسَ داني لِيُفَكِّرَ، وَقَطَّبَ حَاجِبَيْهِ فِي تَوَتُّرٍ. كَانَ قَلِقًا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى؛ فَقَدْ كَانَ وَاضِحًا جِدًّا أَنَّ الْجَدَّ ضفدع سَيُضْطَرُّ إِلَى أَنْ يَرْتَحِلَ فِي الْعَرَاءِ، حَيْثُ يُوجَدُ مُتَّسَعٌ لِلْقَفْزِ، وَحَيْثُ أَيْضًا سَيَكُونُ عَلَى مَرْأًى مِنْ كُلِّ مَنْ يَمُرُّ صُدْفَةً. فَحَثَّهُ داني مُجَدَّدًا عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، وَلَكِنْ كَأَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَصًا أَوْ حَجَرًا؛ فَقَدْ بَدَأَ الْجَدُّ ضفدع رِحْلَتَهُ لِرُؤْيَةِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى بُلُوغِ غَايَتِهِ.

فَتَنَهَّدَ داني، وَقَالَ: «إِذَا عَزَمْتَ عَلَى ذَلِكَ، فَأَنَا أَظُنُّ أَنَّكَ لَنْ تَعْدِلَ عَنْهُ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ الْمَكَانَ الْوَحِيدَ الَّذِي يُمْكِنُكَ أَنْ تَتَنَقَّلَ فِيهِ بِقَدْرٍ — وَلَوْ ضَئِيلًا — مِنَ الرَّاحَةِ هُوَ الطَّرِيقُ الصَّغِيرُ الْمُنْعَزِلُ. هَذَا خَطِيرٌ، خَطِيرٌ جِدًّا، وَلَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّهُ لَا مَفَرَّ مِنْهُ.»

رَدَّ الْجَدُّ ضفدع قَائِلًا: «نَقْ نَقْ! لَسْتُ خَائِفًا. أَرِنِي الطَّرِيقَ الصَّغِيرَ الْمُنْعَزِلَ ثُمَّ امْضِ فِي سَبِيلِكَ يَا داني.»

وَهَكَذَا قَادَ داني الْمَسِيرَ إِلَى الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ، وَتَنَهَّدَ الْجَدُّ ضفدع بِارْتِيَاحٍ، فَهُنَاكَ كَانَ يَسْتَطِيعُ الْقَفْزَ دُونَ أَنْ يَشْتَبِكَ بِالْعُشْبِ الطَّوِيلِ، وَدُونَ أَنْ يَجْرَحَ قَدَمَيْهِ الْغَضَّتَيْنِ عَلَى بَقَايَا الزَّرْعِ الْخَشِنِ حَيْثُ قُطِعَ الْعُشْبُ. وَلَكِنَّ داني كَانَ قَلِقًا لِلْغَايَةِ؛ فَهُوَ

لَمْ يُرِدْ أَنْ يَتْرُكَ الْجَدَّ ضفدع؛ لِأَنَّهُ — كَمَا تَعْلَمُونَ — كَانَ يَشْعُرُ بِالْمَسْئُولِيَّةِ تِجَاهَهُ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ خَائِفًا بِشِدَّةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ بَعْضَ أَعْدَائِهِمَا سَيَرَوْنَهُمَا. كَانَ يُرِيدُ الْعَوْدَةَ، وَلَكِنَّهُ وَاصَلَ طَرِيقَهُ، وَهَذَا يُبَيِّنُ مَدَى شَجَاعَةِ فَأْرِ الْمُرُوجِ الصَّغِيرِ داني.

الفصل الرابع عشر

رِحْلَةُ الْجَدِّ ضفدع الْعَجِيبَةُ

مَا أَكْثَرَ مَا قَدْ يَقَعُ
وَأَعْظَمَ مَا يُصِيبُ
مُسَافِرًا طَائِشًا
أَوْ يَرَى نَفْسَهُ عَلِيمًا!

بَدَأَ الْجَدُّ ضفدع — إِذْ رَاحَ يَقْفِزُ إِلَى الْأَمَامِ خَلْفَ فَأْرِ الْمُرُوجِ داني سَالِكَيْنِ الطَّرِيقَ الصَّغِيرَ الْمُنْعَزِلَ — يَظُنُّ أَنَّ داني هُوَ أَكْثَرُ سُكَّانِ الْمُرُوجِ الصِّغَارِ الَّذِينَ عَرَفَهُمْ جُبْنًا وَخَوْفًا؛ فَقَدْ كَانَ داني يُحَاوِلُ الْبَقَاءَ تَحْتَ الْعُشْبِ الْمُمْتَدِّ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ، وَفِي الْأَمَاكِنِ الْعَارِيَةِ تَمَامًا، كَانَ داني يَنْظُرُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً بِقَلَقٍ ثُمَّ يَرْكُضُ مُتَخَطِّيًا إِيَّاهَا بِأَسْرَعِ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُطْلِقَ قَدَمَيْهِ الصَّغِيرَتَيْنِ، وَبَعْدَ أَنْ يَمُرَّ بِسَلَامٍ، يَنْتَظِرُ الْجَدَّ ضفدع. وَإِذَا مَرَّ ظِلٌّ فَوْقَ الْعُشْبِ، يَنْبَطِحُ داني تَحْتَ أَقْرَبِ وَرَقَةٍ كَاتِمًا أَنْفَاسَهُ.

تَمْتَمَ الْجَدُّ ضفدع قَائِلًا: «حَمَاقَةٌ! مِنَ الْحَمَاقَةِ أَنْ يَخَافَ الْكَائِنُ هَكَذَا! فَأَنَا لَا أَخَافُ حَتَّى أَرَى شَيْئًا يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ، وَهَذَا يَكْفِي. مَا هِيَ فَائِدَةُ الْبَحْثِ عَنِ الْمَتَاعِبِ طَوَالَ الْوَقْتِ؟ فَالْآنَ هَا أَنَا ذَا خَرَجْتُ إِلَى الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، وَلَسْتُ خَائِفًا، وَهَا هُوَ فَأْرُ الْمُرُوجِ داني، الَّذِي عَاشَ هُنَا طَوَالَ حَيَاتِهِ، يَتَصَرَّفُ كَأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ حُدُوثَ شَيْءٍ رَهِيبٍ فِي أَيَّةِ لَحْظَةٍ. أُفٍّ! يَا لَهَا مِنْ حَمَاقَةٍ شَدِيدَةٍ!»

إِنَّ الْجَدَّ ضفدع عَجُوزٌ، وَهُنَاكَ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ يُعَدُّ حَكِيمًا جِدًّا جِدًّا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ حِكْمَةً يُصْبِحُونَ أَحْيَانًا حَمْقَى عِنْدَمَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ كُلَّ شَيْءٍ. كَانَتْ تِلْكَ حَالَ الْجَدِّ ضفدع، كَانَ هُوَ الْأَحْمَقَ وَلَيْسَ فَأْرُ الْمُرُوجِ داني؛ فَقَدْ كَانَ داني يَعْرِفُ جَمِيعَ الْمَخَاطِرِ الْكَامِنَةِ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَكَمْ مِنَ الْأَعْيُنِ الثَّاقِبَةِ تَرْصُدُهُ طَوَالَ الْوَقْتِ؛ فَقَدْ تَعَلَّمَ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ أَنَّ الْخَوْفَ هُوَ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِلْأَمَانِ، فَعِنْدَهَا سَيَتَرَقَّبُ الْخَطَرَ كُلَّ دَقِيقَةٍ؛ وَبِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُحْتَمَلًا أَنْ يُفَاجَأَ بِأَعْدَائِهِ الْجَوْعَى.

وَهَكَذَا بَيْنَمَا كَانَ الْجَدُّ ضفدع يَحْتَقِرُ داني لِكَوْنِهِ جَبَانًا جِدًّا، كَانَ تَصَرُّفُ داني حَقًّا هُوَ الْأَكْثَرَ حِكْمَةً. وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ حَقًّا شُجَاعًا جِدًّا جِدًّا؛ فَقَدْ كَانَ يُرْشِدُ الْجَدَّ ضفدع فِي الْمَسِيرِ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ لِيَرَى الْعَالَمَ الْكَبِيرَ — بَيْنَمَا هُوَ نَفْسُهُ لَمْ يَكُنْ لِيُفَكِّرَ أَبَدًا فِي الذَّهَابِ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ إِلَّا مِنْ خِلَالِ مَمَرَّاتِهِ الصَّغِيرَةِ السِّرِّيَّةِ — لَا لِشَيْءٍ سِوَى أَنَّ الْجَدَّ ضفدع لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ الْقَفْزَ فِي أَيِّ مَكَانٍ إِلَّا حَيْثُ يَكُونُ الطَّرِيقُ خَالِيًا مِنَ الْعَوَائِقِ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ، كَمَا فِي الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ، وَكَانَ داني خَائِفًا مِنْ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَصْحَبِ الْجَدَّ ضفدع أَحَدٌ يَحْرُسُهُ، فَسَوْفَ تَكُونُ نِهَايَتُهُ مُحْزِنَةً بِالتَّأْكِيدِ.

وَكُلَّمَا تَوَغَّلَا فِي طَرِيقِهِمَا دُونَ حُدُوثِ شَيْءٍ، بَدَا أُسْلُوبُ داني الْخَائِفِ فِي الْجَرْيِ وَالِاخْتِبَاءِ أَكْثَرَ حُمْقًا لِلْجَدِّ ضفدع، وَكَانَ عَلَى وَشْكِ أَنْ يُخْبِرَ داني بِمَا يَجُولُ فِي نَفْسِهِ، عِنْدَمَا غَاصَ داني فِي الْعُشْبِ الطَّوِيلِ وَحَذَّرَ الْجَدَّ ضفدع لِيَفْعَلَ مِثْلَهُ. لَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع لَمْ يَفْعَلْ.

فَقَالَ الْجَدُّ ضفدع: «نَقْ نَقْ! أَنَا لَا أَرَى شَيْئًا يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ، وَلَنْ أَخْتَبِئَ حَتَّى أَرَى مَا يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ.»

وَهَكَذَا جَلَسَ ثَابِتًا تَمَامًا حَيْثُ كَانَ، فِي وَسَطِ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ، يَنْظُرُ هُنَا وَهُنَاكَ، وَلَا يَرَى شَيْئًا يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ. وَحِينَهَا، مِنْ وَرَاءِ أَحَدِ مُنْعَطَفَاتِ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُنْعَزِلِ، جَاءَ ... مَنْ تَظُنُّونَ؟ يَا لَلْمُفَاجَأَةِ! إِنَّهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون! وَقَدْ رَأَى الْجَدَّ ضفدع وَقَفَزَ نَاحِيَتَهُ صَائِحًا بِبَهْجَةٍ. نَقَّ الْجَدُّ ضفدع بِفَزَعٍ وَقَفَزَ، وَلَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؛ فَقَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ الْقَفْزَ مُجَدَّدًا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ أَمْسَكَ بِهِ مِنْ سَاقَيْهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ.

صَاحَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَائِلًا: «هَا هَا! أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا هُوَ الضِّفْدَعُ الْعَجُوزُ جِدًّا الَّذِي حَاوَلْتُ مِرَارًا الْإِمْسَاكَ بِهِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ. سَتَكُونُ أَرْجُلُكَ هَذِهِ شَهِيَّةً جِدًّا أَيُّهَا السَّيِّدُ ضفدع، وَهَذَا مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ.»

ثُمَّ رَبَطَ سَاقَيِ الْجَدِّ ضفدع مَعًا وَذَهَبَ فِي طَرِيقِهِ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَمَعَهُ الْجَدُّ ضفدع الْمِسْكِينُ مُتَدَلِّيًا مِنْ نِهَايَةِ خَيْطٍ. كَانَتْ رِحْلَةً عَجِيبَةً وَغَيْرَ مُرِيحَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، حَتَّى تَمَنَّى الْجَدُّ ضفدع مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْعَالَمِ الْكَبِيرِ.

الفصل الخامس عشر

الْجَدُّ ضفدع يَفْقِدُ الْأَمَلَ

حَمَلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْجَدَّ ضفدع إِلَى مَكَانٍ لَا يَعْلَمُهُ ذَلِكَ الْأَخِيرُ، وَسَاقَاهُ مَرْبُوطَتَانِ مَعًا، وَقَدْ تَدَلَّى مِنْ نِهَايَةِ خَيْطٍ وَرَأْسُهُ لِأَسْفَلَ. كَانَ الْأَمْرُ فَظِيعًا. وَفِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ جَاءَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ بَنَاتُ الرِّيَاحِ الْغَرْبِيَّةِ الْعَجُوزِ مُتَرَاقِصَةً فِي الطَّرِيقِ. فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لَمْ تَرَ الْجَدَّ ضفدع، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا أَبْصَرَتْهُ إِحْدَاهَا؛ إِذِ انْدَفَعَتْ مُدَاعِبَةً ابْنَ الْمُزَارِعِ براون بِإِطَارَةِ قُبَّعَتِهِ.

تِلْكَ النَّسَمَاتُ صَدِيقَةٌ عَزِيزَةٌ لِلْجَدِّ ضفدع؛ فَكَثِيرًا مَا كَانَتْ تَدْفَعُ الذُّبَابَ الْأَخْضَرَ الْأَحْمَقَ نَاحِيَتَهُ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ، وَهِيَ تُحِبُّهُ كَثِيرًا؛ لِذَلِكَ عِنْدَمَا رَأَتْهُ إِحْدَى هَذِهِ النَّسَمَاتِ فِي هَذَا الْوَضْعِ الرَّهِيبِ، نَسِيَتْ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ مُدَاعَبَةِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَهُرِعَتْ تُخْبِرُ بَاقِيَ النَّسَمَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمَرِحَةِ. فَسَكَنَتِ النَّسَمَاتُ تَمَامًا دَقِيقَةً كَامِلَةً، وَقَدْ نَسِيَتْ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْمَرَحِ.

وَهَتَفَتْ إِحْدَاهَا: «هَذَا فَظِيعٌ، فَظِيعٌ جِدًّا!»

وَهَتَفَتْ أُخْرَى: «عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا لِمُسَاعَدَةِ الْجَدِّ ضفدع!»

وَقَالَتْ ثَالِثَةٌ: «بِالطَّبْعِ.»

وَسَأَلَتْ رَابِعَةٌ: «وَلَكِنْ مَاذَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَفْعَلَ؟»

لَمْ يُجِبْ أَحَدٌ، وَإِنَّمَا رَاحَتِ النَّسَمَاتُ تُفَكِّرُ وَتُفَكِّرُ وَتُفَكِّرُ، وَأَخِيرًا تَكَلَّمَتِ الْأُولَى فَقَالَتْ: «رُبَّمَا نُحَاوِلُ التَّخْفِيفَ عَنْهُ قَلِيلًا.»

فَصِحْنَ جَمِيعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ: «بِالطَّبْعِ سَنَفْعَلُ ذَلِكَ!»

وَاسْتَطْرَدَتْ تِلْكَ النَّسَمَةُ قَائِلَةً: «وَإِذَا قَذَفْنَا الْغُبَارَ فِي وَجْهِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون وَسَرَقْنَا قُبَّعَتَهُ، فَرُبَّمَا يُنْزِلُ الْجَدَّ ضفدع مِنْ يَدِهِ.»

فَصَاحَتِ الْأُخْرَيَاتُ، وَهُنَّ يَرْقُصْنَ مِنْ فَرْطِ الْإِثَارَةِ: «بِالضَّبْطِ!»

وَتَابَعَتِ النَّسَمَةُ الصَّغِيرَةُ: «ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُمْكِنُنَا أَنْ نُهْرَعَ لِنُخْبِرَ أَصْدِقَاءَ الْجَدِّ ضفدع جَمِيعًا عَمَّا حَدَثَ لَهُ وَعَنْ مَكَانِهِ؛ رُبَّمَا يَسْتَطِيعُ بَعْضُهُمْ مُسَاعَدَتَنَا.»

لَمْ تُضَيِّعِ النَّسَمَاتُ مَزِيدًا مِنَ الْوَقْتِ فِي الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا انْطَلَقَتْ فِي إِثْرِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون بِأَقْصَى سُرْعَةٍ، وَأَسْرَعَتْ إِحْدَاهَا — كَانَتْ أَسْرَعَ مِنَ الْأُخْرَيَاتِ — إِلَى الْأَمَامِ وَهَمَسَتْ فِي أُذُنِ الْجَدِّ ضفدع أَنَّهُنَّ قَادِمَاتٌ لِمُسَاعَدَتِهِ. وَلَكِنْ لَمْ يُخَفِّفْ ذَلِكَ عَنِ الْجَدِّ ضفدع الْعَجُوزِ الْمِسْكِينِ؛ فَهُوَ لَمْ يَسْتَطِعْ تَخَيُّلَ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ، وَكَانَ يَشْعُرُ بِوَخْزٍ مُؤْلِمٍ فِي سَاقَيْهِ فِي مَوْضِعِ احْتِكَاكِ الْخَيْطِ بِالْجِلْدِ، وَرَأْسُهُ كَانَ يُؤْلِمُهُ، فَهُوَ كَمَا تَعْلَمُونَ كَانَ مُتَدَلِّيًا مِنَ الْخَيْطِ وَرَأْسُهُ لِأَسْفَلَ. لَا، لَمْ يُخَفِّفْ ذَلِكَ عَنِ الْجَدِّ ضفدع. كَانَ فِي وَرْطَةٍ رَهِيبَةٍ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى أَيَّ مَهْرَبٍ مِنْهَا. لَمْ تَتَبَقَّ لَدَيْهِ أَدْنَى بَارِقَةِ أَمَلٍ. وَطَوَالَ الْوَقْتِ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَمْشِي فِي طَرِيقِهِ بِصُعُوبَةٍ، مُصَفِّرًا بِمَرَحٍ؛ فَهُوَ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ أَنْ يُفَكِّرَ فِي شِدَّةِ مُعَانَاةِ الْجَدِّ ضفدع وَفَزَعِهِ. لَمْ يَكُنْ قَاسِيَ الْقَلْبِ. لَا، بِالتَّأْكِيدِ لَمْ يَكُنِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَاسِيَ الْقَلْبِ؛ أَيْ إِنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَكُونَ قَاسِيَ الْقَلْبِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ فِي الْآخَرِينَ، مَثَلُهُ فِي ذَلِكَ مَثَلُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْلَادِ، وَالْبَنَاتِ أَيْضًا.

لِذَلِكَ مَضَى فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ يُصَفِّرُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ الْمُؤَدِّي مِنَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ إِلَى فِنَاءِ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون. وَبِمُجَرَّدِ وُصُولِهِ إِلَى الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ حَدَثَ شَيْءٌ مَا؛ ارْتَطَمَتْ بِوَجْهِهِ سَحَابَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْغُبَارِ وَالْأَوْرَاقِ وَالْعِصِيِّ الصَّغِيرَةِ وَكَادَتْ تَخْنُقُهُ، وَدَخَلَ الْغُبَارُ فِي عَيْنَيْهِ، ثُمَّ انْتُزِعَتْ قُبَّعَتُهُ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ وَطَارَتْ فِي الْهَوَاءِ حَتَّى سَقَطَتْ فِي الْحَدِيقَةِ؛ فَأَسْقَطَ الْجَدَّ ضفدع مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ مِنْدِيلِهِ لِيَمْسَحَ عَيْنَيْهِ مِنَ الْغُبَارِ.

صَاحَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون؛ إِذْ بَدَأَ يُلَاحِقُ قُبَّعَتَهُ: «أُفٍّ! إِنَّهُ لَأَمْرٌ غَرِيبٌ أَنْ تَهُبَّ هَذِهِ الرِّيحُ فَجْأَةً هَكَذَا!»

وَلَكِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ مِثْلِي أَنَّهَا النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ الَّتِي تَعَاوَنَتْ لِتُكَوِّنَ تِلْكَ الرِّيحَ الْمُفَاجِئَةَ. وَكَانَ يُفْتَرَضُ بِالْجَدِّ ضفدع أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ أَيْضًا، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ؛ فَقَدْ دَخَلَ الْغُبَارُ فِي عَيْنَيْهِ وَأَنْفِهِ تَمَامًا مِثْلَمَا حَدَثَ مَعَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَكَانَ شَدِيدَ الْخَوْفِ وَالِاضْطِرَابِ بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّفْكِيرَ؛ لِذَلِكَ فَقَدْ قَبَعَ حَيْثُ أَوْقَعَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَلَمْ يَزْدَدْ أَمَلُهُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عَنْ ذِي قَبْلُ.

الفصل السادس عشر

النَّسَماتُ الصَّغِيرَةُ الْمُجْتَهِدَةُ

كَادَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ تَصْرُخُ مِنَ الْفَرْحَةِ حِينَ رَأَتِ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يُسْقِطُ الْجَدَّ ضفدع لِيَتَحَسَّسَ جَيْبَهُ بَحْثًا عَنْ مِنْدِيلِهِ وَيَمْسَحَ الْغُبَارَ الَّذِي قَذَفَتْهُ فِي عَيْنَيْهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَسَلَّقَ السُّورَ وَيُلَاحِقَ قُبَّعَتَهُ عَبْرَ الْحَدِيقَةِ. كَانَتْ تَتْرُكُهُ يَكَادُ يُمْسِكُ بِهَا، ثُمَّ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَتَيَقَّنَ مِنْ حُصُولِهِ عَلَيْهَا، تَنْتَزِعُهَا مِنْهُ. كَانَ الْأَمْرُ مُمْتِعًا جِدًّا لِلنَّسَمَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمَرِحَةِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْمُتْعَةِ. نَعَمْ بِالتَّأْكِيدِ! كَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ لِتُبْعِدَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون عَنِ الْجَدِّ ضفدع.

وَقَدْ أَسْقَطَتِ الْقُبَّعَةَ عِنْدَمَا شَعَرَتْ أَنَّهَا أَبْعَدَتْهُ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ، وَتَفَرَّقَتْ وَانْدَفَعَتْ بِسُرْعَةٍ فِي كُلِّ الِاتِّجَاهَاتِ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَأَعْلَاهَا بِالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَنُزُولًا إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ. عَمَّ كَانَتْ تَبْحَثُ؟ بِالتَّأْكِيدِ كَانَتْ تَبْحَثُ عَنْ بَعْضِ أَصْدِقَاءِ الْجَدِّ ضفدع حَتَّى تَطْلُبَ مِنْهُمُ الْمُسَاعَدَةَ؛ فَقَدْ كَانَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يُسْقِطُ الْجَدَّ ضفدع مِنْ يَدِهِ، وَلَكِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفُكَّ عُقْدَةً أَوْ تَقْطَعَ خَيْطًا، وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا كَانَ يَلْزَمُ فِعْلُهُ لِتَحْرِيرِ الْجَدِّ ضفدع؛ لِأَنَّ رِجْلَيْهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ كَانَتَا مَرْبُوطَتَيْنِ مَعًا؛ لِذَلِكَ كَانَتِ النَّسَمَاتُ تَبْحَثُ عَنْ أَحَدٍ أَسْنَانُهُ حَادَّةٌ، يُهِمُّهُ أَمْرُ الْجَدِّ ضفدع بِمَا يَكْفِي لِيَأْتِيَ وَيُسَاعِدَهُ.

فَكَّرَتْ إِحْدَاهَا فِي السِّنْجَابِ الْمُخَطَّطِ وَاتَّجَهَتْ لِلْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ لِتَبْحَثَ عَنْهُ. وَذَهَبَتْ أُخْرَى لِلْبَحْثِ عَنْ فَأْرِ الْمُرُوجِ داني. وَاتَّجَهَتْ ثَالِثَةٌ لِلدَّغَلِ الْعَزِيزِ بَحْثًا عَنِ الْأَرْنَبِ بيتر. وَتَذَكَّرَتْ رَابِعَةٌ الظَّرِبَانَ جيمي وَأَنَّهُ حَرَّرَ الْغُرَابَ بلاكي مِنْ فَخٍّ ذَاتَ مَرَّةٍ. وَتَذَكَّرَتْ خَامِسَةٌ أَسْنَانَ السِّنْجَابِ جاك السَّعِيدِ الْحَادَّةَ وَأَسْرَعَتْ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ لِتَبْحَثَ عَنْهُ.

وَاتَّجَهَتْ سَادِسَةٌ مُبَاشَرَةً إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ لِتُخْبِرَ فَأْرَ الْمِسْكِ جيري. انْطَلَقَتْ كُلٌّ مِنْهَا بِأَقْصَى سُرْعَتِهَا.

طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ الْجَدُّ ضفدع فَاقِدًا لِلْأَمَلِ. نَعَمْ، كَانَ الْجَدُّ ضفدع الْعَجُوزُ الْمِسْكِينُ يَائِسًا تَمَامًا؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَا تُحَاوِلُ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ فِعْلَهُ، وَكَانَ خَائِفًا لِلْغَايَةِ وَمُشَوَّشَ الذِّهْنِ جِدًّا بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّفْكِيرَ؛ فَعِنْدَمَا أَسْقَطَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، قَبَعَ حَيْثُ سَقَطَ بِضْعَ دَقَائِقَ، ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى لَوْحًا قَدِيمًا عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ. وَدُونَ أَنْ يُفَكِّرَ، حَاوَلَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ؛ فَقَدْ بَدَا أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ ثَمَّةَ مَكَانٌ تَحْتَ اللَّوْحِ يَخْتَبِئُ فِيهِ. كَانَ الْأَمْرُ عَسِيرًا؛ فَكَمَا تَعْلَمُونَ، كَانَتِ سَاقَاهُ الْخَلْفِيَّتَانِ الطَّوِيلَتَانِ — اللَّتَانِ يَسْتَخْدِمُهُمَا فِي الْقَفْزِ — مَرْبُوطَتَيْنِ مَعًا، وَكَانَ أَفْضَلُ مَا يُمْكِنُهُ فِعْلُهُ هُوَ أَنْ يَزْحَفَ وَيَتَلَوَّى وَيَجُرَّ نَفْسَهُ لِلْأَمَامِ. وَإِذْ بَدَأَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون فِي تَسَلُّقِ السُّورِ عَائِدًا إِلَى الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ — وَقُبَّعَتُهُ فِي يَدِهِ — كَانَ الْجَدُّ ضفدع قَدْ وَصَلَ إِلَى اللَّوْحِ الْقَدِيمِ وَزَحَفَ تَحْتَهُ.

وَعِنْدَمَا قَذَفَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ الْغُبَارَ فِي وَجْهِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون وَاخْتَطَفَتْ قُبَّعَتَهُ، أَوْقَعَ الْجَدَّ ضفدع فِي عَجَلَةٍ شَدِيدَةٍ بِحَيْثُ لَمْ يَلْحَظْ أَيْنَ أَوْقَعَهُ بِالضَّبْطِ؛ وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعْرِفِ الْآنَ أَيْنَ يَبْحَثُ عَنْهُ بِالتَّحْدِيدِ، وَلَكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ قَرِيبٌ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى شَكٍّ فِي أَنَّهُ سَيَجِدُهُ. وَكَانَ قَدْ بَدَأَ لِتَوِّهِ فِي الْبَحْثِ عِنْدَمَا سَمِعَ بُوقَ الْعَشَاءِ. تَرَدَّدَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون؛ فَقَدْ كَانَ جَائِعًا، وَإِذَا تَأَخَّرَ فَرُبَّمَا يَفْقِدُ عَشَاءَهُ. فَفَكَّرَ فِي أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الْعَوْدَةَ فِيمَا بَعْدُ لِلْبَحْثِ عَنِ الْجَدِّ ضفدع؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الذَّهَابَ بَعِيدًا بِسَاقَيْهِ الْمَرْبُوطَتَيْنِ. وَهَكَذَا أَلْقَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون نَظْرَةً أَخِيرَةً لِيَتَأَكَّدَ مِنَ الْمَكَانِ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى الْمَنْزِلِ.

لَوْ عَرَفَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ ذَلِكَ، لَاطْمَأَنَّتْ كَثِيرًا، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَعْرِفْ؛ لِذَلِكَ هُرِعَتْ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ تَبْحَثُ عَنْ أَصْدِقَاءِ الْجَدِّ ضفدع وَبَذَلَتْ مَجْهُودًا كَبِيرًا حَتَّى كَادَتْ لَا تَقْوَى عَلَى الْحَرَاكِ، فَقَدْ بَدَا كَأَنَّ كُلَّ صَدِيقٍ مِنْ أَصْدِقَاءِ الْجَدِّ ضفدع قَدِ اخْتَارَ هَذَا الْيَوْمَ بِالذَّاتِ لِيَذْهَبَ بَعِيدًا عَنِ الْمَنْزِلِ. وَهَكَذَا، بَيْنَمَا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَتَنَاوَلُ عَشَاءَهُ، وَاخْتَبَأَ الْجَدُّ ضفدع تَحْتَ اللَّوْحِ الْقَدِيمِ فِي الْمَمَرِّ الْقَدِيمِ، بَذَلَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ قُصَارَى جُهْدِهَا لِتَجْلِبَ لَهُ الْمُسَاعَدَةَ.

الفصل السابع عشر

السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ يَقْطَعُ الْخَيْطَ

هيبي هوب! فليبي فلوب! فِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ
أَخْرَجَتْنِي أُمِّي مِنَ الْبَيْتِ وَأَرْسَلَتْنِي إِلَى الْخَارِجِ لِلَّعِبِ!

كَانَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ يَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مُجَرَّدَ لَغْوٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ قَدْ تَعَلَّمَ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ أَنَّكَ عِنْدَمَا تَغْمُرُكَ الْبَهْجَةُ، تَجِدُ مُتْعَةً فِي قَوْلِ وَفِعْلِ أَشْيَاءَ حَمْقَاءَ، وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا كَانَ يَشْعُرُ بِهِ؛ لِذَلِكَ جَرَى عَلَى طُولِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيِ الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ، وَهُوَ يُثَرْثِرُ بِالْحَمَاقَاتِ وَيَتَوَاثَبُ فِي مَرَحٍ أَحْمَقَ لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ يَغْمُرُهُ شُعُورٌ رَائِعٌ، بَيْنَمَا يَرْصُدُ طَوَالَ الْوَقْتِ كُلَّ مَا تَسْتَطِيعُ عَيْنَاهُ الصَّغِيرَتَانِ اللَّامِعَتَانِ اسْتِيعَابَهُ.

وَالسِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ صَدِيقٌ حَمِيمٌ لِلنَّسَمَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمَرِحَةِ، بَلْ صَدِيقٌ حَمِيمٌ جِدًّا؛ فَهُمْ يَلْعَبُونَ مَعًا فِي مَرَحٍ كُلَّ صَبَاحٍ تَقْرِيبًا، وَلَكِنْ هَذَا الصَّبَاحَ لَمْ تَأْتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ إِلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ حَيْثُ يُقِيمُ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ، أَوْ أَنَّهَا لَمْ تَأْتِ فِي الْوَقْتِ الْمُعْتَادِ عَلَى أَيِّ حَالٍ. انْتَظَرَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ قَلِيلًا، وَلِأَنَّهُ كَانَ يَغْمُرُهُ شُعُورٌ رَائِعٌ، قَرَّرَ أَنْ يَجُولَ بِالْمَمَرِّ الطَّوِيلِ لِيَرَى هَلْ حَدَثَ شَيْءٌ جَدِيدٌ هُنَاكَ؛ وَلِهَذَا فَعِنْدَمَا ذَهَبَتْ إِحْدَى النَّسَمَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمَرِحَةِ لِلْبَحْثِ عَنْهُ — وَكَانَتْ شَدِيدَةَ اللَّهْفَةِ إِلَى أَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ لِمُسَاعَدَةِ الْجَدِّ ضفدع — لَمْ تَجِدْ لَهُ أَثَرًا.

وَلَكِنَّ السِّنْجَابَ الْمُخَطَّطَ لَمْ يَعْرِفْ أَيَّ شَيْءٍ عَنْ ذَلِكَ؛ فَقَدْ رَاحَ يَرْكُضُ بِخِفَّةٍ عَلَى طُولِ الْقُضْبَانِ الْعُلْوِيَّةِ لِلسِّيَاجِ الْقَدِيمِ، ثُمَّ قَفَزَ عَلَى عَمُودٍ، وَاعْتَدَلَ جَالِسًا فَوْقَهُ لِيَغْسِلَ

وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ؛ فَالسِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ نَظِيفٌ وَمُهَنْدَمٌ جِدًّا وَلَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِهِ أَيُّ قَذَارَةٍ. نَظَرَ لِأَعْلَى وَغَمَزَ بِعَيْنِهِ لِلصَّقْرِ حوام الْعَجُوزِ الَّذِي رَاحَ يَحُومُ وَيَحُومُ عَالِيًا جِدًّا فِي السَّمَاءِ الشَّدِيدَةِ الزُّرْقَةِ، ثُمَّ طَارَدَ ذَيْلَهُ وَهُوَ يَدُورُ وَيَدُورُ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنِ الْعَمُودِ. وَنَظَرَ مُمْتَعِضًا تِجَاهَ الصَّقْرِ أحمر الذيل، الَّذِي رَآهُ جَالِسًا عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ بَعِيدَةٍ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَزَجَرَ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر، الَّذِي صَادَفَ مَجِيئَهُ مُهَرْوِلًا مِنْ أَعْلَى الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ عَنْ زَجْرِهِ حَتَّى تَوَارَى عَنْ نَظَرِهِ، ثُمَّ قَفَزَ بِحَيَوِيَّةٍ وَانْطَلَقَ بِسُرْعَةٍ وَخِفَّةٍ عَلَى طُولِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ مَرَّةً أُخْرَى.

ثُمَّ تَوَقَّفَ فَجْأَةً فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ أَمَامَ لَوحٍ قَدِيمٍ مُهْتَزٍّ؛ فَقَدْ رَأَتْ عَيْنَاهُ اللَّامِعَتَانِ شَيْئًا مَلَأَهُ بِالْفُضُولِ، تَمَامًا بِقَدْرِ الْفُضُولِ الَّذِي كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَشْعُرَ بِهِ الْأَرْنَبُ بيتر. كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ قِطْعَةً مِنَ الْخَيْطِ. نَعَمْ، قِطْعَةً مِنَ الْخَيْطِ. كَانَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ كَثِيرًا مَا يَجِدُ قِطَعًا مِنَ الْخَيْطِ؛ لِذَلِكَ لَمْ يُثِرْ ذَلِكَ الْخَيْطُ اهْتِمَامَهُ عَلَى نَحْوٍ خَاصٍّ، مَا أَثَارَ انْتِبَاهَهُ وَجَعَلَهُ شَدِيدَ الْفُضُولِ كَانَ أَنَّ قِطْعَةَ الْخَيْطِ تِلْكَ ظَلَّتْ تَتَحَرَّكُ؛ كُلَّ عِدَّةِ ثَوَانٍ كَانَتْ تَرْتَعِشُ رَعْشَةً صَغِيرَةً. مَنْ سَمِعَ عَنْ قِطْعَةِ خَيْطٍ تَتَحَرَّكُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا؟ بِالتَّأْكِيدِ لَمْ يَسْمَعِ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ عَنْ ذَلِكَ قَطُّ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ فَهْمَ الْأَمْرِ.

رَاحَ يُرَاقِبُهَا مِنْ فَوْقِ الْقُضْبَانِ الْعُلْوِيَّةِ لِلسِّيَاجِ الْقَدِيمِ بِضْعَ دَقَائِقَ، ثُمَّ هَرْوَلَ نَازِلًا بِسُرْعَةٍ عَلَى الْأَرْضِ وَرَاحَ يَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْخَيْطِ الْعَجِيبِ، قَاطِعًا خُطُوَاتٍ قَلِيلَةً فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وَمُتَوَقِّفًا لِيُدَقِّقَ النَّظَرَ مَا بَيْنَ كُلِّ حَرَكَةٍ صَغِيرَةٍ وَأُخْرَى، وَقَدْ أَوْرَثَتْهُ حَالُ ذَلِكَ الْخَيْطِ الْعَجِيبِ شُعُورًا بِالِاضْطِرَابِ؛ لِذَلِكَ كَانَ شَدِيدَ الْحِرْصِ عَلَى أَلَّا يَقْتَرِبَ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ. نَظَرَ إِلَى الْخَيْطِ مِنْ نَاحِيَةٍ، ثُمَّ دَارَ حَوْلَهُ بِسُرْعَةٍ وَنَظَرَ إِلَيْهِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، وَأَخِيرًا وَصَلَ إِلَى مَوْضِعٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى مِنْهُ أَنَّ أَحَدَ طَرَفَيِ الْخَيْطِ كَانَ أَسْفَلَ لَوْحٍ قَدِيمٍ، وَحِينَهَا بَدَأَ يَفْهَمُ. بِالطَّبْعِ كَانَ ثَمَّةَ كَائِنٌ مُخْتَبِئٌ تَحْتَ ذَلِكَ اللَّوْحِ الْقَدِيمِ يَهُزُّ الْخَيْطَ.

جَلَسَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ وَأَخَذَ يَحُكُّ رَأْسَهُ مُفَكِّرًا؛ فَأَيًّا كَانَ مَنْ يَشُدُّ ذَلِكَ الْخَيْطَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَبِيرَ الْحَجْمِ، وَإِلَّا فَلَمْ يَكُنْ لِيَسْتَطِيعَ أَبَدًا أَنْ يَزْحَفَ تَحْتَ ذَلِكَ اللَّوْحِ الْقَدِيمِ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَجِدْ دَاعِيًا لِلْخَوْفِ. وَبَرَقَتْ عَيْنَا السِّنْجَابِ الْمُخَطَّطِ بِنَظْرَةِ شَقَاوَةٍ، ثُمَّ

أَمْسَكَ الطَّرَفَ الْآخَرَ لِلْخَيْطِ وَبَدَأَ يَشُدُّهُ؛ فَبَدَأَ الِارْتِعَاشُ وَالشَّدُّ عَلَى الْفَوْرِ! وَلَكِنَّهُ قَبَضَ عَلَى الْخَيْطِ وَشَدَّ بِقُوَّةٍ أَكْبَرَ. آنَذَاكَ ظَهَرَتْ مِنْ أَسْفَلِ اللَّوْحِ الْقَدِيمِ قَدَمَا الْجَدِّ ضفدع الْوَتْرَاوَانِ الْغَرِيبَتَانِ مَرْبُوطَتَيْنِ مَعًا. تَفَاجَأَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ بِشِدَّةٍ إِلَى حَدِّ أَنَّهُ تَرَكَ الْخَيْطَ وَكَادَ يَقَعُ عَلَى ظَهْرِهِ.

وَصَاحَ: «يَا لَلْعَجَبِ! الْجَدُّ ضفدع! مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ هُنَا بِحَقِّ السَّمَاءِ؟»

عِنْدَمَا تَرَكَ السِّنْجَابُ الْخَيْطَ، سَحَبَ الْجَدُّ ضفدع قَدَمَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أَسْفَلِ اللَّوْحِ الْقَدِيمِ عَلَى الْفَوْرِ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتَ السِّنْجَابِ الْمُخَطَّطِ، زَحَفَ خَارِجًا بِأَلَمٍ وَبُطْءٍ، وَأَخْبَرَ السِّنْجَابَ كَيْفَ أَمْسَكَ بِهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَقَيَّدَهُ ثُمَّ أَسْقَطَهُ أَخِيرًا قُرْبَ اللَّوْحِ الْقَدِيمِ، وَأَخْبَرَهُ كَمْ كَانَ فَزِعًا، وَكَمْ تُؤْلِمُهُ سَاقَاهُ. لَمْ يَنْتَظِرْهُ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ؛ فَفِي غَمْضَةِ عَيْنٍ كَانَ قَدْ بَدَأَ الْعَمَلَ بِأَسْنَانِهِ الْحَادَّةِ وَقَطَعَ الْخَيْطَ الْقَاسِيَ قَبْلَ أَنْ يُنْهِيَ الْجَدُّ ضفدع حِكَايَتَهُ.

الفصل الثامن عشر

الْجَدُّ ضفدع يَلُوذُ بِالْفِرَارِ

عِنْدَمَا قَطَعَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ الْخَيْطَ الَّذِي كَانَ يَرْبِطُ سَاقَيِ الْجَدِّ ضفدع الطَّوِيلَتَيْنِ مَعًا، شَعَرَ الْجَدُّ ضفدع بِرَاحَةٍ كَبِيرَةٍ بِحَيْثُ لَمْ يَكَدْ يَعْرِفُ مَاذَا عَسَاهُ أَنْ يَفْعَلَ. بِالطَّبْعِ شَكَرَ السِّنْجَابَ الْمُخَطَّطَ مِرَارًا وَتَكْرَارًا. قَالَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ إِنَّ الْأَمْرَ لَا يَسْتَوْجِبُ أَيَّ شُكْرٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَإِنَّهُ كَانَ سَعِيدًا لِلْغَايَةِ بِمُسَاعَدَةِ الْجَدِّ ضفدع.

وَقَالَ لَهُ: «نَحْنُ — سُكَّانَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ — عَلَيْنَا أَنْ يُسَاعِدَ بَعْضُنَا بَعْضًا؛ لِأَنَّ أَيًّا مِنَّا لَا يَعْرِفُ أَبَدًا مَتَى سَيَحْتَاجُ هُوَ نَفْسُهُ إِلَى الْمُسَاعَدَةِ. وَالْآنَ خُذْ بِنَصِيحَتِي — أَيُّهَا الْجَدُّ ضفدع — وَعُدْ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُكَ؛ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ لَيْسَ بِمَكَانٍ مُنَاسِبٍ لِعَجُوزٍ مِثْلِكَ؛ لِأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ كَيْفَ تَعْتَنِي بِنَفْسِكَ.»

عِنْدَمَا قَالَ ذَلِكَ، ارْتَكَبَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ خَطَأً فَادِحًا؛ فَكِبَارُ السِّنِّ لَا يُحِبُّونَ أَبَدًا أَنْ يُقَالَ لَهُمْ إِنَّهُمْ مُسِنُّونَ أَوْ إِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ كُلَّ شَيْءٍ. وَقَدِ انْتَصَبَ الْجَدُّ ضفدع وَحَاوَلَ أَنْ يَبْدُوَ بَالِغَ الْوَقَارِ.

وَقَالَ: «نَقْ نَقْ! أُرِيدُكَ أَنْ تَعْرِفَ أَيُّهَا السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَأْتُونَ طَلَبًا لِنَصِيحَتِي قَبْلَ أَنْ تُولَدَ أَنْتَ. لَقَدْ كَانَ مُجَرَّدَ حَادِثٍ أَنْ أَمْسَكَ بِيَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَأَوَدُّ أَنْ أَرَاهُ يُعِيدُهَا. نَعَمْ، أَوَدُّ أَنْ أَرَاهُ يُعِيدُهَا!»

يَا إِلَهِي! يَا إِلَهِي! لَقَدْ كَانَ الْجَدُّ ضفدع يَتَفَاخَرُ، لَوْ كَانَ آمِنًا فِي بَيْتِهِ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، لَكَانَ لَهُ بَعْضُ الْعُذْرِ، وَلَكِنْ هُنَا فِي الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ بَعِيدًا عَنْ بَيْتِهِ، حَيْثُ لَا يَعْرِفُ حَتَّى طَرِيقَ الْعَوْدَةِ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ! كَانَ ذَلِكَ حَمَاقَةً مِنْهُ، حَمَاقَةً بَالِغَةً بِالْفِعْلِ، وَكَانَ

السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ خَيْرَ مَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُكِنُّ احْتِرَامًا كَبِيرًا لِلْجَدِّ ضفدع، وَقَدْ أَدْرَكَ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِانْزِعَاجٍ وَحَرَجٍ شَدِيدَيْنِ عِنْدَمَا يُفَكِّرُ فِي أَنَّهُ قَدْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْوَرْطَةِ؛ لِذَلِكَ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ لِيُخْفِيَ ابْتِسَامَتَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

«بِالتَّأْكِيدِ لَنْ يُمْسِكَ بِكَ مُجَدَّدًا. أَنَا أَعْرِفُ كَمْ أَنْتَ حَكِيمٌ وَذَكِيٌّ، وَلَكِنَّكَ تَبْدُو لِي شَدِيدَ التَّعَبِ، وَهَذَا الْعَالَمُ الْكَبِيرُ حَافِلٌ بِالْأَخْطَارِ بِحَيْثُ يَبْدُو لِي أَنَّ أَفْضَلَ شَيْءٍ يُمْكِنُكَ فِعْلُهُ هُوَ الْعَوْدَةُ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ.»

وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع عَنِيدٌ، كَمَا تَعْرِفُونَ. لَقَدْ بَدَأَ رِحْلَتَهُ لِرُؤْيَةِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَعْتَقِدَ سُكَّانُ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارُ أَنَّهُ خَائِفٌ، وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ الْجَدَّ ضفدع كَانَ خَائِفًا مِنْ سُخْرِيَةِ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ الْأَخْطَارِ الْمُحْدِقَةِ بِهِ، وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ مَدَى الْحَمَاقَةِ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْحُكَمَاءِ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهَا أَحْيَانًا؛ لِذَلِكَ هَزَّ رَأْسَهُ رَافِضًا.

وَقَالَ: «نَقْ نَقْ! سَوْفَ أَرَى الْعَالَمَ الْكَبِيرَ أَوَّلًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ سَأَعُودُ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ. هَلْ تَعْرِفُ أَيْنَ يُمْكِنُ أَنْ أَجِدَ مَاءً؟ أَنَا أَشْعُرُ بِعَطَشٍ شَدِيدٍ.»

عَلَى النَّاحِيَةِ الْمُقَابِلَةِ مِنَ الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ كَانَ ثَمَّةَ نَبْعٌ يَمْلَأُ مِنْهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِبْرِيقَهُ بِمَاءٍ بَارِدٍ صَافٍ لِيَأْخُذَهُ مَعَهُ إِلَى حَقْلِ الذُّرَةِ عِنْدَمَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ هُنَاكَ. كَانَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ يَعْرِفُ بِأَمْرِ ذَلِكَ النَّبْعِ، حَيْثُ ذَهَبَ لِلشُّرْبِ مِنْهُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً؛ فَأَخْبَرَ الْجَدَّ ضفدع بِمَكَانِ النَّبْعِ بِالضَّبْطِ وَشَرَحَ لَهُ كَيْفَ يَصِلُ إِلَيْهِ، بَلْ عَرَضَ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يُرِيَهُ الطَّرِيقَ، وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع قَالَ إِنَّهُ يُفَضِّلُ الذَّهَابَ وَحْدَهُ.

وَقَالَ لَهُ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ مُحَذِّرًا: «حَذَارِ أَيُّهَا الْجَدُّ ضفدع مِنْ أَنْ تَسْقُطَ فِي النَّبْعِ؛ لِأَنَّكَ رُبَّمَا لَا تَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مُجَدَّدًا.»

نَظَرَ الْجَدُّ ضفدع إِلَيْهِ مُتَمَعِّنًا لِيَرَى هَلْ كَانَ يَسْخَرُ مِنْهُ؛ فَمَنْ ذَا الَّذِي قَدْ يَظُنُّ أَنَّهُ — الَّذِي عَاشَ فِي الْمَاءِ كُلَّ حَيَاتِهِ — لَنْ يَسْتَطِيعَ الْخُرُوجَ مِنْهُ وَقْتَمَا يَشَاءُ! وَلَكِنَّ السِّنْجَابَ الْمُخَطَّطَ بَدَا جَادًّا فِيمَا يَقُولُ؛ لِذَلِكَ ابْتَلَعَ الْجَدُّ ضفدع الرَّدَّ اللَّاذِعَ الَّذِي كَانَ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ، وَشَكَرَ السِّنْجَابَ الْمُخَطَّطَ، وَأَسْرَعَ مُبْتَعِدًا لِيَبْحَثَ عَنِ النَّبْعِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الظَّمَأِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِهِ يَشْعُرُ بِالْحَرِّ الشَّدِيدِ، وَأَسْرَعَ أَكْثَرَ حِينَ تَخَيَّلَ الْحَمَّامَ الْبَارِدَ الَّذِي سَيَحْظَى بِهِ عِنْدَمَا يَجِدُ ذَلِكَ النَّبْعَ.

الفصل التاسع عشر

الْجَدُّ ضفدع يَقَعُ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْمَتَاعِبِ

بَعْضُ النَّاسِ مُتَهَوِّرُونَ وَيَقَعُونَ فِي الْمَتَاعِبِ، وَبَعْضُ النَّاسِ حَمْقَى وَيُوقِعُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْمَتَاعِبِ. وَالْجَدُّ ضفدع كَانَ الِاثْنَيْنِ مَعًا، مُتَهَوِّرًا وَأَحْمَقَ؛ وَمِنْ ثَمَّ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِي الْمَتَاعِبِ؛ فَعِنْدَمَا أَخْبَرَهُ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ بِمَكَانِ النَّبْعِ، بَدَا لَهُ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ الِانْتِظَارَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ؛ فَقَدْ أَمْضَى الْجَدُّ ضفدع حَيَاتَهُ كُلَّهَا فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، حَيْثُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَشْرَبَ وَقْتَمَا يَشَاءُ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَمُدَّ جَسَدَهُ إِلَى حَافَةِ وَرَقَةِ الزَّنْبَقِ الْخَضْرَاءِ الْكَبِيرَةِ. وَحِينَمَا كَانَ يَشْعُرُ بِالْحَرِّ الشَّدِيدِ، كُلُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِعْلُهُ هُوَ أَنْ يَقُولَ «نَقْ نَقْ!» وَيَغْطِسَ فِي الْمَاءِ الْبَارِدِ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا عَلَى أَنْ يَقْضِيَ وَقْتًا طَوِيلًا دُونَ مَاءٍ.

فَرَاحَ يَقْفِزُ وَيَقْفِزُ وَيَقْفِزُ! كَانَ الْجَدُّ ضفدع يَتَحَرَّكُ بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُهُ فِي الِاتِّجَاهِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ، وَكُلَّ ثَلَاثِ أَوْ أَرْبَعِ قَفَزَاتٍ يَتَوَقَّفُ لِيَأْخُذَ قِسْطًا قَصِيرًا جِدًّا جِدًّا مِنَ الرَّاحَةِ، ثُمَّ يَنْطَلِقُ مُجَدَّدًا، لِيَقْفِزَ وَيَقْفِزَ وَيَقْفِزَ! وَكُلُّ قَفْزَةٍ كَانَتْ قَفْزَةً طَوِيلَةً. كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر بِالتَّأْكِيدِ سَيَشْعُرُ بِالْحَسَدِ إِذَا اسْتَطَاعَ رُؤْيَةَ هَذِهِ الْقَفَزَاتِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي يَقْفِزُهَا الْجَدُّ ضفدع.

وَأَخِيرًا بَدَأَتِ الْأَرْضُ تُصْبِحُ رَطْبَةً، وَكُلَّمَا تَوَغَّلَ أَكْثَرَ، أَصْبَحَتْ أَكْثَرَ رُطُوبَةً، وَسُرْعَانَ مَا أَصْبَحَتْ مُبْتَلَّةً إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ، وَيَكْسُوهَا الْكَثِيرُ مِنَ الطَّحَالِبِ الْمُبْتَلَّةِ الْبَارِدَةِ النَّاعِمَةِ. وَكَمْ كَانَ ذَلِكَ شُعُورًا رَائِعًا لِقَدَمَيِ الْجَدِّ ضفدع الْمُتْعَبَتَيْنِ الْمِسْكِينَتَيْنِ!

«لَا بُدَّ أَنِّي قَدْ وَصَلْتُ تَقْرِيبًا.» قَالَهَا الْجَدُّ ضفدع لِنَفْسِهِ، وَهُوَ يَتَسَلَّقُ بِسُرْعَةٍ وَصُعُوبَةٍ رَبْوَةً كَبِيرَةً تُغَطِّيهَا الطَّحَالِبُ، لِيَنْظُرَ فِيمَا حَوْلَهُ. وَفِي الْحَالِ رَأَى طَرِيقًا ضَيِّقًا

مِنْ نَاحِيَةِ الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ، يُؤَدِّي مُبَاشَرَةً إِلَى مَا وَرَاءَ الرَّبْوَةِ ذَاتِهَا الَّتِي يَجْلِسُ عَلَيْهَا، وَلَاحَظَ أَنَّهُ حَيْثُ كَانَتِ الْأَرْضُ نَاعِمَةً وَرَطْبَةً لِلْغَايَةِ، وُضِعَتْ أَلْوَاحٌ قَدِيمَةٌ، وَهُوَ مَا حَيَّرَ الْجَدَّ ضفدع كَثِيرًا.

وَقَالَ: «هَذَا طَرِيقٌ بِالتَّأْكِيدِ، وَلَكِنْ مَنْ ذَا الَّذِي قَدْ يَوَدُّ أَنْ يُفْسِدَهُ بِوَضْعِ هَذِهِ الْأَلْوَاحِ هُنَاكَ؟!»

فَقَدْ كَانَ الْجَدُّ ضفدع يُحِبُّ الطِّينَ الرَّطْبَ النَّاعِمَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ كَيْفَ يُمْكِنُ لِأَيِّ كَائِنٍ — حَتَّى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون — أَنْ يُفَضِّلَ عَنْهُ طَرِيقًا جَافًّا صُلْبًا. بِالطَّبْعِ هُوَ لَمْ يَرْتَدِ حِذَاءً مِنْ قَبْلُ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ لِمَاذَا قَدْ يُرِيدُ أَيُّ كَائِنٍ أَنْ تَظَلَّ قَدَمَاهُ جَافَّتَيْنِ بَيْنَمَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَا مُبْتَلَّتَيْنِ. كَانَ مَا زَالَ يُحَاوِلُ فَهْمَ هَذَا الْأَمْرِ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتًا جَعَلَهُ يَكَادُ يَفْقِدُ تَوَازُنَهُ وَيَقَعُ مِنْ عَلَى الرَّبْوَةِ. كَانَ صَفِيرًا، صَفِيرَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون! عَرَفَهُ الْجَدُّ ضفدع عَلَى الْفَوْرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَسْمَعُهُ عِنْدَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ. جَاءَ الصَّفِيرُ مِنَ الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ، كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ تَنَاوَلَ عَشَاءَهُ وَعَادَ لِيَبْحَثَ عَنِ الْجَدِّ ضفدع حَيْثُ أَسْقَطَهُ.

فِي الْوَاقِعِ لَقَدِ ابْتَسَمَ الْجَدُّ ضفدع ابْتِسَامَةً كَبِيرَةً حِينَ فَكَّرَ كَمْ سَيَنْدَهِشُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عِنْدَمَا لَا يَجِدُ لَهُ أَثَرًا. وَفَجْأَةً بَدَا كَأَنَّ الِابْتِسَامَةَ قَدْ تَجَمَّدَتْ عَلَى وَجْهِ الْجَدِّ ضفدع؛ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الصَّفِيرُ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ! كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ غَادَرَ الْمَمَرَّ الطَّوِيلَ وَأَخَذَ يَسِيرُ فِي الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ. وَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّهُ كَانَ آتِيًا لِلشُّرْبِ مِنَ النَّبْعِ، وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع لَمْ يُفَكِّرْ فِي ذَلِكَ، كَانَ وَاثِقًا مِنْ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون اكْتَشَفَ بِطَرِيقَةٍ مَا أَيَّ طَرِيقٍ سَلَكَهُ هُوَ وَكَانَ آتِيًا لِيُمْسِكَ بِهِ؛ فَانْكَمَشَ لِلْأَسْفَلِ مُنْبَطِحًا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ عَلَى الرَّبْوَةِ الْكَبِيرَةِ وَحَبَسَ أَنْفَاسَهُ. وَمَرَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً، ثُمَّ تَوَقَّفَ عَلَى بُعْدِ بِضْعِ خُطُوَاتٍ، وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ. اخْتَلَسَ الْجَدُّ ضفدع النَّظَرَ مِنْ بَيْنِ الْعُشْبِ، وَرَآهُ يَغْتَرِفُ مَاءً صَافِيًا جَمِيلًا بِكُوبٍ قَدِيمٍ وَيَشْرَبُ؛ حِينَئِذٍ عَرَفَ الْجَدُّ ضفدع مَكَانَ النَّبْعِ تَحْدِيدًا.

وَبَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ، مَرَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مَرَّةً أُخْرَى — وَهُوَ مَا زَالَ يُصَفِّرُ — فِي طَرِيقِهِ لِلْمَمَرِّ الطَّوِيلِ. انْتَظَرَ الْجَدُّ ضفدع حَتَّى تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ فِعْلًا، ثُمَّ قَفَزَ أَكْبَرَ

قَفَزَاتِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُنْطَلِقًا نَحْوَ النَّبْعِ. وَبَعْدَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قَفْزَةً طَوِيلَةً، اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى الْمَاءَ، وَبَعْدَ قَفْزَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ثُمَّ قَفْزَةٍ طَوِيلَةٍ، نَزَلَ فِي النَّبْعِ مُطْلِقًا رَذَاذًا!

هَتَفَ الْجَدُّ ضفدع قَائِلًا: «مَا أَرْوَعَ الْمَاءَ!»

وَطَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ، كَانَ الْجَدُّ ضفدع قَدْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْمَتَاعِبِ.

الفصل العشرون

يَأْسُ الْجَدِّ ضفدع

انْظُرْ قَبْلَ أَنْ تَقْفِزَ؛
فَرُبَّمَا كَانَ الْمَاءُ عَمِيقًا.

تِلْكَ أَفْضَلُ نَصِيحَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَكِنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ يَكْتَشِفُونَ ذَلِكَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْجَدُّ ضفدع. بِالطَّبْعِ كَانَ قَدْ سَمِعَ هَذَا الْمَقْطَعَ الْقَصِيرَ طَوَالَ حَيَاتِهِ. فِي الْوَاقِعِ، لَقَدْ كَانَ مُولَعًا بِتَرْدِيدِهِ عَلَى مَسَامِعِ مَنْ يَأْتُونَ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ لِطَلَبِ نَصِيحَتِهِ. وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ الْجَدَّ ضفدع قَدْ تَرَكَ كُلَّ حِكْمَتِهِ خَلْفَهُ عِنْدَمَا غَادَرَ الْبِرْكَةَ الْبَاسِمَةَ لِيَخْرُجَ إِلَى الْعَالَمِ الْكَبِيرِ؛ فَإِنَّهُ لَأَمْرٌ غَايَةٌ فِي الصُّعُوبَةِ عَلَى مَنِ اعْتَادَ تَقْدِيمَ النَّصَائِحِ أَنْ يَنْقَلِبَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ وَيَأْخُذَ هُوَ نَفْسُهُ بِنَصَائِحِ الْغَيْرِ؛ وَلِذَلِكَ ظَلَّ الْجَدُّ ضفدع يَقَعُ فِي وَرْطَةٍ تِلْوَ الْأُخْرَى مُنْذُ أَنْ بَدَأَ رِحْلَتَهُ الْحَمْقَاءَ، وَالْآنَ هَا هُوَ وَاقِعٌ فِي مَأْزِقٍ آخَرَ، وَقَدْ غَطَسَ فِيهِ، مُطْلِقًا رَذَاذًا عَظِيمًا.

وَبِالطَّبْعِ، عِنْدَمَا رَأَى مَاءَ النَّبْعِ الْمُتَلَأْلِئَ الْبَارِدَ، بَدَا لَهُ أَنَّهُ لَا يَقْوَى عَلَى الِانْتِظَارِ لَحْظَةً أُخْرَى لِيَنْزِلَ فِيهِ. كَانَ يَشْعُرُ بِحَرٍّ وَجَفَافٍ شَدِيدَيْنِ وَكَانَ ظَمْآنَ وَمُتْعَبًا إِلَى أَبْعَدِ حَدٍّ! وَهَكَذَا — وَيَا لَلْهَوْلِ! — لَمْ يَنْظُرِ الْجَدُّ ضفدع عَلَى الْإِطْلَاقِ قَبْلَ أَنْ يَقْفِزَ. نَعَمْ، لَمْ يَنْظُرْ! لَقَدْ غَطَسَ مُبَاشَرَةً فِي الْمَاءِ بِقَفْزَةٍ طَوِيلَةٍ عَظِيمَةٍ. يَاهْ، كَمْ كَانَ ذَلِكَ الْمَاءُ رَائِعًا! لِبِضْعِ دَقَائِقَ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّفْكِيرَ بِأَيِّ شَيْءٍ آخَرَ؛ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْمَاءُ أَكْثَرَ بُرُودَةً مِنْ مَاءِ

الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ؛ لِأَنَّهُ — كَمَا تَعْلَمُونَ — كَانَ نَبْعًا، وَلَكِنَّ ذَلِكَ كَانَ أَفْضَلَ، وَمَا كَانَ مِنَ الْجَدِّ ضفدع إِلَّا أَنْ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَطَفَا عَلَى سَطْحِ الْمِيَاهِ فِي سَعَادَةٍ خَالِصَةٍ.

وَمَا لَبِثَ أَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ فِيمَا حَوْلَهُ، ثُمَّ طَرَفَ بِهِمَا بِسُرْعَةٍ لِدَقِيقَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَدَعَكَهُمَا لِيَتَأَكَّدَ مِمَّا يَرَاهُ، وَبَدَا كَأَنَّ قَلْبَهُ هَوَى لِأَسْفَلَ، هَوَى حَتَّى سَقَطَ فِي قَدَمَيْهِ، وَقَالَ مُتَعَجِّبًا: «نَقْ نَقْ! نَقْ نَقْ!» وَبَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ.

فَمِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ حَوْلَهُ ارْتَفَعَتْ حَوَائِطُ مَلْسَاءُ عَمُودِيَّةٌ تَمَامًا. كَانَ يُمْكِنُهُ النَّظَرُ لِأَعْلَى وَرُؤْيَةُ جُزْءٍ صَغِيرٍ مِنَ السَّمَاءِ الشَّدِيدَةِ الزُّرْقَةِ فَوْقَهُ مُبَاشَرَةً وَالْأَوْرَاقِ الْهَامِسَةِ لِلْأَشْجَارِ وَالْأَجَمَةِ. وَكَانَ ثَمَّةَ أَعْشَابٌ تَمِيلُ عَلَى حَافَةِ الْحَائِطِ الْعَمُودِيِّ الْأَمْلَسِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ بَعِيدَةً جِدًّا فَوْقَ رَأْسِهِ، بَعِيدَةً إِلَى حَدٍّ مُفْزِعٍ! لَمْ يَكُنْ يُوجَدُ أَيُّ مَكَانٍ لِلتَّسَلُّقِ لِلْأَعْلَى! كَانَ الْجَدُّ ضفدع فِي سِجْنٍ! لَمْ يَقْدِرْ عَلَى اسْتِيعَابِ الْأَمْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ مَا كَانَ.

بِالطَّبْعِ، كَانَ يُمْكِنُ لِابْنِ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يُخْبِرَهُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْأَمْرِ؛ فَمُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ وَجَدَ الْمُزَارِعُ براون نَفْسُهُ ذَلِكَ النَّبْعَ، وَلِأَنَّ الْمَاءَ كَانَ شَدِيدَ الصَّفَاءِ وَالْبُرُودَةِ وَالنَّقَاءِ، قَامَ بِتَنْظِيفِ كُلِّ الْقَذَارَةِ وَالْقُمَامَةِ مِنْ حَوْلِهِ، ثُمَّ خَلَعَ قَاعِدَةَ بِرْمِيلٍ نَظِيفٍ جَمِيلٍ وَحَفَرَ بِالْأَسْفَلِ حَيْثُ تَنْبَثِقُ الْمِيَاهُ مِنَ الرِّمَالِ، وَثَبَّتَ الْبِرْمِيلَ فِي هَذِهِ الْحُفْرَةِ وَمَلَأَ الْقَاعَ بِرِمَالٍ بَيْضَاءَ نَظِيفَةٍ لِتَنْبَثِقَ مِنْ خِلَالِهَا الْمِيَاهُ. وَفِي مُنْتَصَفِ الْبِرْمِيلِ قَامَ بِعَمَلِ فُتْحَةٍ صَغِيرَةٍ لِيَنْدَفِعَ الْمَاءُ مِنْهَا بِالسُّرْعَةِ الَّتِي يَنْبَثِقُ بِهَا فِي الْقَاعِ. بِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنِ الْمَاءُ يَمْلَأُ الْبِرْمِيلَ قَطُّ؛ لِأَنَّهُ عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى الْفُتْحَةِ، كَانَ يَسِيلُ مِنْهَا. وَتَرَكَ ذَلِكَ حَائِطًا أَمْلَسَ عَمُودِيًّا فِي الْأَعْلَى؛ حَائِطًا أَعْلَى مِنْ أَنْ يَسْتَطِيعَ الْجَدُّ ضفدع الْقَفْزَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّاخِلِ.

يَا لَلْجَدِّ ضفدع الْعَجُوزِ الْمِسْكِينِ! لَقَدْ تَمَنَّى أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ فِي مُغَادَرَةِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ لِيَرَى الْعَالَمَ الْكَبِيرَ. سَبَحَ دَائِرًا مَرَّةً تِلْوَ الْأُخْرَى، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى أَيَّ مَخْرَجٍ، وَكَانَتِ الْفُتْحَةُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي يَخْرُجُ مِنْهَا الْمَاءُ أَضْيَقَ مِنْ أَنْ يَسْتَطِيعَ حَشْرَ نَفْسِهِ مِنْهَا، كَمَا اكْتَشَفَ بَعْدَ أَنْ حَاوَلَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. فَبِحَسَبِ مَا رَآهُ آنَذَاكَ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَظَلَّ هُنَاكَ مَا تَبَقَّى مِنْ عُمُرِهِ، وَالْأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ عَرَفَ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون أَحْيَانًا يَأْتِي إِلَى النَّبْعِ لِلشُّرْبِ، فَقَدْ رَآهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَكَانَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ

عِنْدَمَا يَأْتِي الْمَرَّةَ الْقَادِمَةَ، سَيَجِدُ الْجَدَّ ضفدع؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَكَانٌ لِلِاخْتِبَاءِ. عِنْدَمَا فَكَّرَ الْجَدُّ ضفدع فِي ذَلِكَ، يَئِسَ تَمَامًا. نَعَمْ، يَئِسَ تَمَامًا. لَقَدْ فَقَدَ أَيَّ أَمَلٍ فِي رُؤْيَةِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ مُجَدَّدًا، وَانْحَدَرَتْ دَمْعَتَانِ كَبِيرَتَانِ مِنْ عَيْنَيْهِ الْجَاحِظَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ.

الفصل الحادي والعشرون

النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ تُحَاوِلُ التَّخْفِيفَ عَنِ الْجَدِّ ضفدع

عِنْدَمَا تَرَكَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ بَنَاتُ الرِّيَاحِ الْغَرْبِيَّةِ الْعَجُوزِ الْجَدَّ ضفدع فِي الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ حَيْثُ أَسْقَطَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَانْطَلَقَتْ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ مُحَاوِلَةً إِيجَادَ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ لِمُسَاعَدَتِهِ، لَمْ تَنْجَحْ أَيٌّ مِنْهَا فِي ذَلِكَ؛ فَلَمْ يَكُنْ أَيٌّ مِنْ أَصْدِقَائِهِ مَوْجُودًا فِي بَيْتِهِ، وَلَا فِي أَيٍّ مِنَ الْأَمَاكِنِ الْمُعْتَادَةِ لَهُ. ظَلَّتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ تَبْحَثُ وَتَبْحَثُ، ثُمَّ إِنَّهَا عَادَتْ حَزِينَةً وَاحِدَةً تِلْوَ الْأُخْرَى إِلَى الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ، وَقَدِ اسْتَاءَتْ بِشِدَّةٍ لِدَرَجَةِ أَنَّهَا كَرِهَتْ تَمَامًا الْعَوْدَةَ إِلَى حَيْثُ تَرَكَتِ الْجَدَّ ضفدع.

وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ هُنَاكَ، وَجَدَتِ السِّنْجَابَ الْمُخَطَّطَ، الَّذِي كَانَ آنَذَاكَ يَنْهَرُ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون بِأَسْرَعِ مَا يُمْكِنُ لِلِسَانِهِ أَنْ يَنْطَلِقَ.

فَهَتَفَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ بِانْفِعَالٍ: «أَيْنَ هُوَ؟»

تَوَقَّفَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ عَنْ تَوْبِيخِهِ وَقْتًا كَافِيًا لِيُشِيرَ فِيهِ لِابْنِ الْمُزَارِعِ براون، الَّذِي كَانَ يَبْحَثُ فِي الْعُشْبِ عَنْ أَيِّ أَثَرٍ لِلْجَدِّ ضفدع.

صَاحَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ، كُلُّهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ: «نَحْنُ لَا نَقْصِدُهُ هُوَ أَيُّهَا الْأَحْمَقُ! نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَاهُ بِأَنْفُسِنَا. أَيْنَ الْجَدُّ ضفدع؟»

أَجَابَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ قَائِلًا: «لَا أَعْرِفُ، وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ أَنَّنِي لَا أُبَالِي!»

هَذَا لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا؛ لِأَنَّ السِّنْجَابَ الْمُخَطَّطَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ، كَانَ ذَلِكَ مُجَرَّدَ كَلَامٍ، وَلَقَدْ عَلِمَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ ذَلِكَ؛ لَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ السِّنْجَابَ الْمُخَطَّطَ

حَقِيقَةً يُفَكِّرُ كَثِيرًا فِي الْجَدِّ ضفدع، مِثْلَهَا تَمَامًا؛ لِذَلِكَ تَظَاهَرَتْ بِعَدَمِ مُلَاحَظَةِ مَا قَالَهُ أَوْ مَا بَدَا عَلَيْهِ مِنَ اسْتِيَاءٍ. وَبَعْدَ بُرْهَةٍ، أَخْبَرَهَا أَنَّهُ قَدْ حَرَّرَ الْجَدَّ ضفدع وَأَنَّهُ بَعْدَهَا ذَهَبَ يَبْحَثُ عَنِ النَّبْعِ فِي النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى مِنَ الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ. ابْتَهَجَتِ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ لِسَمَاعِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ السَّارَّةِ، وَقَالَتْ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْيَاءِ اللَّطِيفَةِ لِلسِّنْجَابِ الْمُخَطَّطِ حَتَّى نَسِيَ أَنْ يُوَبِّخَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون، ثُمَّ اتَّجَهَتْ نَحْوَ النَّبْعِ، وَهِيَ تَرْقُصُ بِمَرَحٍ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُتَأَكِّدَةً مِنْ أَنَّ الْجَدَّ ضفدع سَيَكُونُ بِخَيْرٍ هُنَاكَ، وَتَوَقَّعَتْ أَنْ تَجِدَهُ مُرْتَاحًا كَأَنَّمَا فِي بَيْتِهِ.

صَاحَتِ النَّسَمَاتُ، وَهِيَ تَخْتَلِسُ النَّظَرَ دَاخِلَ النَّبْعِ: «مَرْحَبًا أَيُّهَا الْجَدُّ ضفدع! مَا رَأْيُكَ فِي مَنْزِلِكَ الْجَدِيدِ؟»

لَمْ يَرُدَّ الْجَدُّ ضفدع، وَإِنَّمَا اكْتَفَى بِإِدَارَةِ عَيْنَيْهِ الْجَاحِظَتَيْنِ الْكَبِيرَتَيْنِ لِأَعْلَى نَحْوَهَا، وَكَانَتَا تَمْلَؤُهُمَا الدُّمُوعُ.

فَهَتَفَتِ النَّسَمَاتُ: «عَجَبًا أَيُّهَا الْجَدُّ ضفدع، مَا الْأَمْرُ الْآنَ؟»

قَالَ الْجَدُّ ضفدع، وَقَدْ بَدَا صَوْتُهُ مُخْتَنِقًا: «نَقْ نَقْ، لَا أَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ.»

حِينَئِذٍ لَاحَظَتِ النَّسَمَاتُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ اسْتِقَامَةَ جُدْرَانِ النَّبْعِ وَنُعُومَتَهَا وَكَمْ كَانَ الْجَدُّ ضفدع بَعِيدًا فِي الْأَسْفَلِ، وَعَرَفَتْ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقِيقَةَ؛ فَحَاوَلَتْ ثَنْيَ الْأَعْشَابِ النَّامِيَةِ حَوْلَ حَافَةِ النَّبْعِ دَاخِلَهُ، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنْ أَيٌّ مِنْهَا طَوِيلَةً بِقَدْرٍ كَافٍ لِتَصِلَ إِلَى الْمَاءِ. وَلَوْ كَانَتْ فَكَّرَتْ لِلَحْظَةٍ، لَعَرَفَتْ أَنَّ الْجَدَّ ضفدع لَمْ يَكُنْ لِيَسْتَطِيعَ التَّسَلُّقَ عَلَيْهَا بِأَيِّ حَالٍ. ثُمَّ حَاوَلَتْ رَفْعَ عَصًا كَبِيرَةٍ إِلَى دَاخِلِ النَّبْعِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ ثَقِيلَةً جِدًّا عَلَيْهَا، وَلَمْ تَقْوَ عَلَى تَحْرِيكِهَا، وَلَكِنَّهَا اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَقْذِفَ لَوْحًا خَشَبِيًّا قَدِيمًا إِلَى الدَّاخِلِ، فَصَارَ لَدَى الْجَدِّ ضفدع بِذَلِكَ شَيْءٌ يَجْلِسُ عَلَيْهِ؛ وَهَكَذَا بَدَأَ يَشْعُرُ بِقَلِيلٍ مِنَ التَّحَسُّنِ. ثُمَّ قَالَتْ لَهُ كُلَّ مَا خَطَرَ عَلَى بَالِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُخَفِّفَ عَنْهُ؛ قَالَتْ لَهُ إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُصِيبَهُ أَذًى هُنَاكَ، إِلَّا إِذَا صَادَفَ أَنْ رَآهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون.

فَرَدَّ عَلَيْهَا الْجَدُّ ضفدع بِصَوْتٍ مُتَحَشْرِجٍ: «وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا أَخَافُ مِنْهُ! مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ سَيَرَانِي إِذَا جَاءَ لِيَشْرَبَ، فَلَا مَكَانَ لَدَيَّ أَخْتَبِئُ فِيهِ.»

قَالَتْ إِحْدَى النَّسَمَاتِ فِي أَمَلٍ: «رُبَّمَا لَا يَأْتِي.»

وَقَالَتْ أُخْرَى: «إِذَا حَدَثَ أَنْ جَاءَ، يُمْكِنُكَ الِاخْتِبَاءُ أَسْفَلَ اللَّوْحِ الْخَشَبِيِّ، وَعِنْدَهَا لَنْ يَعْرِفَ أَنَّكَ هُنَا عَلَى الْإِطْلَاقِ.»

فَابْتَهَجَ الْجَدُّ ضفدع وَقَالَ: «هَذَا صَحِيحٌ! هَذِهِ فِكْرَةٌ طَيِّبَةٌ. سَوْفَ أُجَرِّبُهَا.»

ثُمَّ وَعَدَتْهُ إِحْدَى النَّسَمَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمَرِحَةِ أَنْ تَتَرَقَّبَ مَجِيءَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَغَادَرَتِ الْأُخْرَيَاتُ فِي بَحْثٍ آخَرَ عَنْ كَائِنٍ يُسَاعِدُ الْجَدَّ ضفدع عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الْوَرْطَةِ الْجَدِيدَةِ.

الفصل الثاني والعشرون

وَرْطَةُ الْجَدِّ ضفدع تَتَفَاقَمُ

مَدْخَلٌ بِلَا مَخْرَجٍ!
انْظُرْ قَبْلًا تَسْلَمْ.

كَانَ لَدَى الْجَدِّ ضفدع وَقْتٌ كَافٍ لِيُدْرِكَ مَدَى صِحَّةِ ذَلِكَ الْقَوْلِ؛ فَبَيْنَمَا جَلَسَ عَلَى اللَّوْحِ الْخَشَبِيِّ الْقَدِيمِ الَّذِي قَذَفَتْهُ النَّسَمَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ إِلَى دَاخِلِ النَّبْعِ حَيْثُ كَانَ سَجِينًا، فَكَّرَ كَثِيرًا جِدًّا فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ الصَّغِيرَةِ «لَوْ». «لَوْ» لَمْ يُغَادِرِ الْبِرْكَةَ الْبَاسِمَةَ، «لَوْ» لَمْ يَكُنْ عَنِيدًا وَمُتَصَلِّبًا فِي رَأْيِهِ، «لَوْ» لَمْ يَتَعَجَّلْ هَكَذَا، «لَوْ» كَانَ نَظَرَ لِيَعْرِفَ أَيْنَ كَانَ يَقْفِزُ. حَسَنًا، أَيٌّ مِنْ هَذِهِ كَانَتْ سَتَقِيهِ الْوُقُوعَ فِي وَرْطَتِهِ الْحَالِيَّةِ.

لَمْ يَكُنِ الْوَضْعُ حَقِيقَةً سَيِّئًا إِلَى هَذَا الْحَدِّ فِي النَّبْعِ؛ بِمَعْنَى أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ لِيُصْبِحَ شَدِيدَ السُّوءِ لَوْلَا الْخَوْفُ مِنَ احْتِمَالِ أَنْ يَأْتِيَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لِلشُّرْبِ وَيَجِدَهُ هُنَاكَ. كَانَ ذَلِكَ أَكْبَرَ مَخَاوِفِ الْجَدِّ ضفدع، وَقَدْ سَبَّبَ لَهُ الْكَوَابِيسَ كُلَّمَا حَاوَلَ أَنْ يَأْخُذَ قَيْلُولَةً، وَشَعَرَ بِالْبُرُودَةِ تَسْرِي فِي جَسَدِهِ كُلِّهِ عِنْدَمَا خَطَرَتْ عَلَى بَالِهِ فِكْرَةُ أَنْ يُمْسِكَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مُجَدَّدًا، وَأَخِيرًا عِنْدَمَا أَسْرَعَتْ إِحْدَى النَّسَمَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمَرِحَةِ لِتُخْبِرَهُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون قَادِمٌ بِالْفِعْلِ، تَمَلَّكَ الْجَدَّ ضفدع الْعَجُوزَ الْمِسْكِينَ ذُعْرٌ شَدِيدٌ حَتَّى اضْطُرَّتِ النَّسَمَةُ الصَّغِيرَةُ الْمَرِحَةُ إِلَى أَنْ تُخْبِرَهُ مَرَّتَيْنِ أَنْ يَخْتَبِئَ أَسْفَلَ اللَّوْحِ الْقَدِيمِ الطَّافِي فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ.

وَأَخِيرًا اسْتَوْعَبَ الْأَمْرَ، وَغَاصَ فِي الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ نَفَسًا طَوِيلًا جِدًّا وَسَبَحَ أَسْفَلَ اللَّوْحِ الْقَدِيمِ. كَانَ قَدْ غَاصَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ تَمَامًا. نَعَمْ، فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ تَمَامًا، فَلَوْ لَمْ يَكُنِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مَشْغُولًا بِالتَّفْكِيرِ فِي أَمْرٍ آخَرَ، لَكَانَ بِالتَّأْكِيدِ سَيُلَاحِظُ الْحَلَقَاتِ الصَّغِيرَةَ الَّتِي صَنَعَهَا الْجَدُّ ضفدع فِي الْمَاءِ عِنْدَمَا غَاصَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مَشْغُولًا بِالتَّفْكِيرِ فِي أَمْرٍ آخَرَ، وَلَمْ يَرَ اللَّوحَ الْخَشَبِيَّ الْقَدِيمَ أَصْلًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ غَرَفَ الْمَاءَ بِكُوبِهِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ.

وَحِينَهَا قَالَ مُتَعَجِّبًا: «عَجَبًا! لَا بُدَّ أَنَّ الرِّيَاحَ قَذَفَتْهُ هُنَا بَعْدَ أَنْ جِئْتُ هُنَا الْبَارِحَةَ. لَا يُمْكِنُ أَنْ نَسْمَحَ بِوُجُودِ شَيْءٍ كَهَذَا فِي نَبْعِنَا الْجَمِيلِ.»

ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى اللَّوْحِ الْخَشَبِيِّ الْقَدِيمِ، فَأَيْقَنَ الْجَدُّ ضفدع — الَّذِي كَانَ مُخْتَبِئًا تَحْتَهُ — بِهَلَاكِهِ، وَلَكِنَّ النَّسَمَةَ الصَّغِيرَةَ الْقَلِقَةَ كَانَتْ تُرَاقِبُ الْمَوْقِفَ بِانْتِبَاهٍ شَدِيدٍ، وَلَحْظَةَ أَنْ رَأَتْ مَا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عَلَى وَشْكِ فِعْلِهِ، قَامَتْ بِنَفْسِ حِيلَتِهَا الْقَدِيمَةِ قِدَمَ الدَّهْرِ، وَهِيَ انْتِزَاعُ قُبَّعَتِهُ مِنْ عَلَى رَأْسِهِ. فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعِ التَّفْكِيرَ فِي حَلٍّ آخَرَ؛ فَتَشَبَّثَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بِقُبَّعَتِهِ، ثُمَّ غَادَرَ الْمَكَانَ دُونَ التَّفْكِيرِ مَرَّةً أُخْرَى فِي اللَّوْحِ الْخَشَبِيِّ الْقَدِيمِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ وَلَدَيْهِ أَشْيَاءُ أُخْرَى لِيَفْعَلَهَا.

هَتَفَ الْجَدُّ ضفدع، وَهُوَ يَسْبَحُ خَارِجًا مِنْ أَسْفَلِ اللَّوْحِ الْخَشَبِيِّ ثُمَّ يَعْتَلِيهِ: «نَقْ نَقْ! لَقَدْ نَجَوْتُ بِأُعْجُوبَةٍ بِلَا شَكٍّ. إِذَا تَكَرَّرَ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ كَثِيرًا، فَحَتْمًا سَأَمُوتُ ذُعْرًا.»

لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ آخَرُ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، وَكَانَ الْجَدُّ ضفدع يَتَسَاءَلُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ إِذَا كَانَ مِنَ الْآمِنِ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ قَيْلُولَةً، عِنْدَمَا رَأَى عَيْنَيْنِ تُطِلَّانِ مِنْ أَعْلَى الْحَافَةِ فَوْقَهُ. كَانَتَا عَيْنَيْنِ صَفْرَاوَيْنِ مُخْضَرَّتَيْنِ، ظَلَّتَا تُحَدِّقَانِ فِيهِ، وَظَلَّ الْجَدُّ ضفدع يُحَدِّقُ فِيهِمَا. لَمْ يَسْتَطِعْ مَنْعَ نَفْسِهِ، لَمْ يَعْرِفْ لِمَنْ كَانَتَا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ تَذَكُّرَ رُؤْيَتِهِمَا مِنْ قَبْلُ. كَانَ خَائِفًا، وَمَعَ ذَلِكَ لِسَبَبٍ مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى اتِّخَاذِ الْقَرَارِ بِالْقَفْزِ؛ كَانَ مُسْتَغْرِقًا فِي التَّحْدِيقِ فِي هَاتَيْنِ الْعَيْنَيْنِ فَلَمْ يَلْحَظْ ذِرَاعًا طَوِيلَةً مَكْسُوَّةً بِالْفَرْوِ تَنْزِلُ بِبُطْءٍ شَدِيدٍ، مُتَّجِهَةً لِلْأَسْفَلِ نَحْوَهُ، وَرَاحَتْ تَتَسَلَّلُ مُقْتَرِبَةً مِنْهُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، ثُمَّ فَجأَةً تَحَرَّكَتْ كَالْبَرْقِ. شَعَرَ الْجَدُّ ضفدع بِمَخَالِبَ

حَادَّةٍ فِي مِعْطَفِهِ ذِي اللَّوْنَيْنِ الْأَصْفَرِ وَالْأَبْيَضِ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَطِيعَ حَتَّى فَتْحَ فَمِهِ لِيَنِقَّ، كَانَ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ ثُمَّ هَبَطَ عَلَى ظَهْرِهِ فِي الْعُشْبِ، ثُمَّ انْقَضَّتْ عَلَيْهِ! ثَبَّتَتْهُ كَفَّانِ عَلَى الْأَرْضِ، وَاقْتَرَبَتِ الْعَيْنَانِ الصَّفْرَاوَانِ الْمُخْضَرَّتَانِ حَتَّى صَارَتَا عَلَى قَيْدِ أُنْمُلَةٍ مِنْ عَيْنَيْهِ. كَانَتَا عَيْنَيْ بسبس السَّوْدَاءِ؛ قِطَّةِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

الفصل الثالث والعشرون

عَوْدَةٌ إِلَى الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ الْعَزِيزَةِ

كَانَتْ بسبس السَّوْدَاءُ تَحْظَى بِوَقْتٍ طَيِّبٍ، عَلَى عَكْسِ الْجَدِّ ضفدع؛ فَقَدْ كَانَتْ بسبس السَّوْدَاءُ تَجِدُ مُتْعَةً كَبِيرَةً فِي دَسِّ كَفِّهَا أَسْفَلَ الْجَدِّ ضفدع وَقَذْفِهِ فِي الْهَوَاءِ، وَتَجِدُ مُتْعَةً أَكْبَرَ فِي أَنْ تَتَظَاهَرَ بِالذَّهَابِ بَعِيدًا، ثُمَّ تَخْتَبِئَ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، وَبِمُجَرَّدِ أَنْ يَبْدَأَ الْجَدُّ ضفدع فِي التَّحَرُّكِ، تَنْقَضُّ عَلَيْهِ لِتَلْطِمَهُ وَتُدَحْرِجَهُ. وَلَكِنْ لَمْ يَجِدِ الْجَدُّ ضفدع أَيَّ مُتْعَةٍ فِي ذَلِكَ؛ فَهُوَ أَوَّلًا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ هَلْ كَانَتْ بسبس تُحِبُّ أَكْلَ الضَّفَادِعِ أَمْ لَا، فَكَانَ مَذْعُورًا بِشِدَّةٍ. وَثَانِيًا، لَمْ تَكُنِ الْقِطَّةُ بسبس تُغَطِّي مَخَالِبَهَا دَائِمًا، فَكَانَتْ تَنْفُذُ مِنْ مِعْطَفِ الْجَدِّ ضفدع ذِي اللَّوْنَيْنِ الْأَصْفَرِ وَالْأَبْيَضِ وَتَجْرَحُهُ؛ لِأَنَّ جِلْدَهُ غَضٌّ جِدًّا فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ.

وَأَخِيرًا تَعِبَتِ الْقِطَّةُ بسبس مِنَ اللَّعِبِ فَاتَّجَهَتْ، مُمْسِكَةً بِالْجَدِّ ضفدع فِي فَمِهَا، إِلَى الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ الْمُؤَدِّي مِنَ النَّبْعِ إِلَى الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ. لَمْ يُبْدِ الْجَدُّ ضفدع أَيَّ مُقَاوَمَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ مَا كَانَ عَيْنَ الصَّوَابِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ فَعَلَ، لَكَانَتِ الْقِطَّةُ بسبس أَطْبَقَتْ فَمَهَا عَلَيْهِ أَكْثَرَ، وَلَكَانَ ذَلِكَ مُؤْلِمًا جِدًّا بِلَا شَكٍّ.

رَاحَ الْجَدُّ ضفدع يَنُوحُ قَائِلًا: «لَقَدِ انْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ، وَهَذِهِ هِيَ النِّهَايَةُ. سَتَلْتَهِمُنِي الْآنَ. آهٍ! لِمَاذَا، لِمَاذَا غَادَرْتُ الْبِرْكَةَ الْبَاسِمَةَ يَوْمًا؟»

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ الَّذِي انْسَلَّتْ فِيهِ الْقِطَّةُ بسبس إِلَى الْمَمَرِّ الطَّوِيلِ، سَمِعَ الْجَدُّ ضفدع صَوْتًا مَأْلُوفًا؛ كَانَ صَفِيرًا ... صَفِيرًا مَرِحًا، كَانَ صَفِيرَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَكَانَ يَقْتَرِبُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. بَدَأَتْ ذَرَّةٌ مِنَ الْأَمَلِ تَدِبُّ فِي قَلْبِ الْجَدِّ ضفدع. لَمْ يَعْرِفْ سَبَبَ ذَلِكَ تَحْدِيدًا، لَكِنَّ ذَلِكَ كَانَ شُعُورَهُ. كَانَ دَائِمًا يَخَافُ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون أَشَدَّ الْخَوْفِ، وَلَكِن

الْآنَ ... إِذَا كَانَ لِابْنِ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يَأْخُذَهُ، فَرُبَّمَا يَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْهُ كَمَا فَعَلَ مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُتَيَقِّنًا تَمَامًا مِنْ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْهَرَبَ مِنَ الْقِطَّةِ بسبس مُطْلَقًا.

اقْتَرَبَ الصَّفِيرُ أَكْثَرَ، وَتَوَقَّفَتِ الْقِطَّةُ بسبس، ثُمَّ بَدَأَتْ تُصْدِرُ صَوْتَ خَرْخَرَةٍ غَرِيبًا مِنْ أَسْفَلِ حَلْقِهَا.

صَاحَ صَوْتٌ قَائِلًا: «مَرْحَبًا أَيَّتُهَا الْقِطَّةُ بسبس! هَلْ كُنْتِ تَصْطَادِينَ؟ تَعَالَيْ هُنَا وَأَرِينِي مَا عِنْدَكِ.»

قَوَّسَتِ الْقِطَّةُ بسبس ظَهْرَهَا وَبَدَأَتْ تَتَمَسَّحُ فِي سَاقَيِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَطَوَالَ الْوَقْتِ أَخَذَ صَوْتُ الْخَرْخَرَةِ فِي حَلْقِهَا يَعْلُو وَيَعْلُو. انْحَنَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لِأَسْفَلَ لِيَرَى مَاذَا تَحْمِلُ فِي فَمِهَا.

ثُمَّ صَاحَ مُتَعَجِّبًا: «عَجَبًا! أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا نَفْسُ الضِّفْدَعِ الْعَجُوزِ الَّذِي هَرَبَ مِنِّي! لَا حَاجَةَ لَكِ بِهِ يَا بسبس. سَوْفَ أَضَعُهُ فِي جَيْبِي وَآخُذُهُ إِلَى الْبَيْتِ فِيمَا بَعْدُ.»

وَبِذَلِكَ أَخَذَ الْجَدَّ ضفدع مِنَ الْقِطَّةِ بسبس وَوَضَعَهُ فِي جَيْبِهِ، ثُمَّ رَبَّتَ عَلَى الْقِطَّةِ بسبس، وَوَصَفَهَا بِالْقِطَّةِ الذَّكِيَّةِ، ثُمَّ مَشَى فِي طَرِيقِهِ، مُصَفِّرًا بِمَرَحٍ. كَانَ الْمَكَانُ مُظْلِمًا وَضَيِّقًا إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ فِي ذَلِكَ الْجَيْبِ، وَلَكِنَّ الْجَدَّ ضفدع لَمْ يَهْتَمَّ؛ فَقَدْ كَانَ هَذَا أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ يَشْعُرَ بِأَسْنَانٍ حَادَّةٍ وَمَخَالِبَ طَوَالَ الْوَقْتِ. تَسَاءَلَ فِي نَفْسِهِ مَتَى يَصِلُونَ إِلَى الْبَيْتِ، وَمَاذَا سَيَحْدُثُ لَهُ حِينَهَا. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ بَدَتْ لَهُ طَوِيلَةً جِدًّا جِدًّا، شَعَرَ بِنَفْسِهِ يَتَأَرْجَحُ فِي الْهَوَاءِ، ثُمَّ يَرْتَطِمُ بِالْأَرْضِ بِقُوَّةٍ صَدَرَ لَهَا مِنْهُ نَخِيرٌ؛ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ خَلَعَ مِعْطَفَهُ وَرَمَاهُ عَلَى الْأَرْضِ.

تَوَقَّفَ الصَّفِيرُ، وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ هَادِئًا. انْتَظَرَ الْجَدُّ ضفدع وَأَنْصَتَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ سَمَاعَ أَيِّ صَوْتٍ، ثُمَّ رَأَى بَصِيصًا مِنَ الضَّوْءِ يَتَسَلَّلُ إِلَى دَاخِلِ سِجْنِهِ؛ فَرَاحَ يَتَلَوَّى وَيَدْفَعُ نَفْسَهُ، وَفَجْأَةً وَجَدَ نَفْسَهُ خَارِجَ الْجَيْبِ. فَطَرَفَ بِعَيْنَيْهِ مِنْ شِدَّةِ سُطُوعِ الضَّوْءِ، وَبِمُجَرَّدِ أَنِ اسْتَعَادَ الرُّؤْيَةَ، نَظَرَ حَوْلَهُ لِيَرَى أَيْنَ هُوَ، ثُمَّ فَرَكَ عَيْنَيْهِ بِكِلْتَا يَدَيْهِ وَنَظَرَ مَرَّةً أُخْرَى؛ لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون عَلَى الْإِطْلَاقِ. أَيْنَ تَظُنُّهُ كَانَ؟ يَا لَلْعَجَبِ! كَانَ عَلَى ضِفَّةِ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ ذَاتِهَا، وَعَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَصْطَادُ!

أَصْدَرَ الْجَدُّ ضفدع نَقِيقًا، كَانَ أَعْلَى وَأَسْعَدَ نَقِيقٍ سَمِعَتْهُ الْبِرْكَةُ الْبَاسِمَةُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَعَادَ يَنِقُّ مُجَدَّدًا، ثُمَّ قَفَزَ قَفْزَةً هَائِلَةً وَغَاصَ فِي الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ الْعَزِيزَةِ مُطْلِقًا رَذَاذًا مِنَ الْمَاءِ، وَقَدِ ابْتَسَمَتِ الْبِرْكَةُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى.

وَلَمْ يُحَاوِلِ الْجَدُّ ضفدع بَعْدَ ذَلِكَ مُطْلَقًا أَنْ يَرَى الْعَالَمَ الْكَبِيرَ، وَصَارَ رَاضِيًا تَمَامًا بِتَرْكِ هَذَا الْأَمْرِ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الْعَيْشَ فِيهِ. وَمُنْذُ مُغَامَرَاتِهِ الْعَجِيبَةِ، صَارَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِتَصْدِيقِ أَيِّ شَيْءٍ يُقَالُ لَهُ عَمَّا يَحْدُثُ هُنَاكَ، وَلَا يُمْكِنُ لِشَيْءٍ أَنْ يُفَاجِئَهُ.

هنداوي